العروبة والإسلام

في فكر الأستاذ ميشيل عفلق

الدكتور محمد أحمد خلف الله
مصر

الدكتور محمد عابد الجابري
المغرب

الدكتور بكري محمد خليل
السودان

الدكتور إبراهيم خليل أحمد
العراق



منشورات الطليعة
تونس
1993



* د. محمد أحمد خلف الله

موضوع الدراسة فيما نعلم جميعاً هو : العروبة والاسلام في فكر ميشيل عفلق .

ولم يكن من الجائز عندي ان ادرس العروبة والاسلام في فكر ميشيل عفلق من غير ان ادرس العروبة والمسيحية في فكره . والسبب في ذلك واضح جداً . فالرجل قد عايش العروبة والمسيحية قبل ان يعايش العروبة والاسلام . وبنيانه الفكري القومي قد قام اثناء تعايشه للعروبة والمسيحية ـ بل ان افكاره المهمة في العروبة والاسلام قد برزت في الحياة القومية وهو لا يزال يتعايش مع العروبة والمسيحية ، وكان يجد في ذلك ميزة له يمتاز بها عن نظيره المسلم حين يفكر في امور العروبة والاسلام .

وهذه الميزة هي ان المسيحي قد ينتبه الى الجديد من امر العلاقة بين العروبة والاسلام اكثر مما ينتبه المسلم الى ذلك . والسبب ان الالفة للاسلام والعادة في التامل مع الاسلام ، قد يصرفانه عن هذا الجديد .

وعبارة ميشيل عفلق في ذلك هي : « ان المسلم لا يكتشف الاسلام ، وكذلك البعيد عن الاسلام . الذي يكتشفه ينبغي ان يجمع بين الاستعداد النفسي وبين الجدة ـ اي ذلك الذي لم تضعف العادة والالفة حساسية عينيه واذنيه .

فالمسلم الذي نشأ في بيت مسلم منذ طفولته ، واعتاد دوماً سماع الكلام عن الاسلام ، يتكون عنده نوع من الضعف في رهافة الحس والذهن ، فلا يرى الجديد في هذا الكلام ، ولا يدرك المعنى العميق والهزة الروحية ـ كما يحصل حين يهزك الكلام الذي تسمعه لأول مرة »[1] .

ولم يكن من الجائز عندي ايضاً ان ادرس العروبة والمسيحية ، والعروبة والاسلام ، في فكر ميشيل عفلق من غير ان ادرس العروبة والدين ـ وليس ذلك لأن جوهر الدين هو الاساس في كل من المسيحية والاسلام فحسب ، وانما ذلك لأسباب اخرى تكاد تنحصر في :

* مفكر عربي مصري



١ ـ ان الرجل كان يرتفع بالدين في الفكر القومي الى المستوى الذي يتجاوز فيه الطائفية والمذهبية وما اشبه .

٢ ـ ان الرجل كان حريصاً كل الحرص على ان يوضح في جلاء تام موقف العروبة من كل من الايمان والالحاد ، ويتخذ من ذلك السبيل في مواجهة الالحاد الشيوعي ، والتحلل من الدين في الغرب الاوربي .

وهنا لا بد من الاشارة الى ان دراسة العروبة والدين ، والعروبة والمسيحية في فكر ميشيل عفلق ، سوف تكون على سبيل التمهيد لدراسة العروبة والاسلام .

وان ترتيب موضوعات هذه الدراسة سوف يكون على الوجه التالي :

١ ـ العروبة والدين .

١ ـ العروبة والمسيحية .

٣ ـ العروبة والاسلام .

وقبل ان نأخذ في طرح هذه الالوان من الدراسات على القارىء الكريم ، نشير الى حقيقة لا بد من الاشارة اليها في هذا المقام .

هذه الحقيقة هي : ان فكر ميشيل عفلق في هذه الموضوعات هو الفكر السياسي وليس الفكر الديني ، وذلك انما يعني :

١ ـ ابتعاد الرجل عن الموضوعات الدينية الخالصة من مثل : الغيبيات ، والمعتقدات ، والعبادات ، وترك هذا الميدان كلية لرجل الدين ، او للمؤسسات الدينية الممثلة في المعابد والكنائس والمساجد وما الى ذلك .

٢ ـ وقوفه من الدين عند الجوهر الذي يفسره تفسيراً يتصل بحياة النّاس ، وبمشكلات هذه الحياة ، وذلك من مثل التفسيرات التالية :

ان الدين ـ واجبه الحقيقي ومرماه الاصلي ـ هو إشاعة العدل ، ورفع الظلم ... لا دين مع الفساد والظلم ... وان الدين الحقيقي هو دوماً مع المظلومين ، ومع الثائرين على الفساد .

ان بعث الدين يكون بإزالة هذه المفاسد والمظالم .

وان ألف حجة في الدفاع عن الدين لا تغني ، ولا تساوي حجة عملية واحدة تزيل شيئاً من مظالم الحياة[٢] .

٣ ـ تفسيراته للوقائع والاحداث المعاصرة ، والتي تحتاج الى إعمال الفكر ، والتي يشارك فيها رجل الدين ، كانت تجيء في منهج فكري مختلف تماماً عن المنهج الفكري لرجل الدين .

ان رجل الدين ينظر الى هذه الوقائع والاحداث بعين الماضي ، ويقدم الحلول لمشكلات الحياة الحاضرة من التراث العتيق . اما هو فكان ينظر في الوقائع



والاحداث بعين الحاضر ، وينظر الى المشكلة بأنها مشكلة حياة حاضرة وتحتاج الى حل معاصر ، وينظر الى الماضي نفسه بعين الحاضر ، ليجره الى الحاضر ، ويبعث فيه الحيوية والنشاط .

وأداة التقييم عند رجل الدين الخير والشر ، الموافقة للدين او المخالفة له . اما اداة التقييم عند السياسي فهي النفع والضرر ، وهي المشكلات التي تتطلب الحل .

فالالحاد مثلًا عند رجل الدين شر يجب ان يعاقب ـ ولو ادت العقوبة الى قتل الملحد .

والالحاد عند رجل السياسة المتدين ، مرض يجب ان يعالج ، ومشكلة يجب ان تحل . والوسيلة ليست العقوبة التي قد تصل الى حد الاعدام . وانما التعرف على الاسباب ، والعمل على ازالة هذه الاسباب .

وننهي الحديث هنا بهذه الفقرة التي تؤكد ان دور الدين بصفة عامة ، ودور الاسلام بصفة خاصة ، هو دور سياسي ، وان الذي دعا الى هذا هو التحديات التي تواجهها الامة العربية .

انه يقول : هناك ظروف موضوعية للامة العربية : للثورة العربية ، هي مواجهة الاستعمار الغربي والحضارة الغربية ، والسؤال عن سبيل الخلاص ، عن كيفية الانقاذ ، كيف نتحرك ؟ كيف نتقدم ؟ هل بالشيوعية ؟

قرأنا الاسلام ، هذا الاسلام هو : الاسلام بعد قراءة الشيوعية ، بعد مواجهة التحدي الاستعماري الغربي وحضارته ، وبعد الاطلاع على الحل الثوري الشيوعي الاتي من الغرب ايضاً .

فهي اذاً قراءة من خلال موقف مصيري من : تحديات الاستعمار والحضارة الغربية ، ومن تحديات الفكر الشيوعي .

المهم هو هذه الصورة التي انطبعت اثناء القراءة الجديدة للاسلام ، والتي اعطت اشياء اساسية ـ بعضها واضح ، وبعضها واقع بين الوضوح والابهام »[٣] .

العروبة والدين في فكر ميشيل عفلق

يدور فكر ميشيل عفلق هنا حول موقف العروبة من كل من الايمان والالحاد .

فهل الامة العربية مؤمنة او لا ؟ والى اي حد تكون قوة الايمان فيها ؟

وبعبارة اخرى : هل في مقدور الامة العربية ان تتحرر من الدين كما تحرر غيرها

من الامم او لا ؟

وفي تناول ميشيل عفلق لهذه القضية نراه يسلك سبيلين :

الاولى ـ سبيل دور الدين بصفة عامة في الحياة الانسانية .

الثانية ـ سبيل دور الدين في العروبة بصفة خاصة ، وهل يمكن استغناؤها عن هذا الدور ، وكيف ؟

ونراه في سبيله الاولى يتساءل عن دور الدين بصفة عامة ، ثم يجيب عن ذلك ـ وتدخل الامة العربية طبعاً ضمن الداخلين في اطار هذه الاجابة .

يتساءل ميشيل عفلق ، ويقول :

هل الدين شيء ثانوي مصطنع في حياة الانسان والامم ؟

هل هو شيء عارض ـ ولو انه دخل حياتهم منذ الوف السنين ؟

واذا نظرنا اليه على انه شيء غير اصيل ، غير اساسي ، ولا يلبي حاجة صادقة وعميقة في النفس ـ فهل يمكن ان ينتهي ويزول مع ما وراءه من تاريخ حافل طويل منذ آلاف السنين ؟

ويجيب ميشيل عفلق ، وهو الرجل الدارس لتاريخ الاديان بالاقوال التالية :

« الدين كما يظهر لنا من استعراض تاريخ البشر منذ اقدم العصور الى اليوم ، هو شيء اساسي في حياة البشر ... ولكن يجب ان نفرق بين الدين في حقيقته ومرماه وبين الدين كما يتجسد او يظهر في مفاهيم وتقاليد وعادات ومصالح ـ في ظرف ومكان معينين » .

« الدين تعبير صادق عن انسانية الانسان ، وانه يمكن ان يتطور ويتبدل في اشكاله ، وان يتقدم او يتأخر . ولكنه لا يمكن ان يزول »[٤] .

اما في السبيل الثانية ـ وهي الخاصة بالعروبة ـ فنراه يقول :

« حقيقة الامة العربية لا تكتمل إلا بالايمان ، إلا ان تسري روح الرسالة في جماهير هذه الامة ، وان تشعر بانها تقدم شيئاً ثميناً للحياة ، وللانسانية ، وللمستقبل ، وللخلود »[٥] .

« ومن اجل قوميتنا ، ولكي يكون مجتمعنا صحيحاً سليماً ، اكدنا ضرورة الدين ، وانه حاجة ملازمة للنفس الانسانية التي تلبي مطلباً عميقاً واساسياً فيها . وان الدين خالد ـ وان كانت اشكال التدين ومستوياته خاضعة للتطور »[٦] .

ولا ينسى ميشيل عفلق هنا ان يبين لنا ان الامة العربية تدين بأكثر من دين سماوي ، وان تلك هي القاعدة العامة ـ وان تكن للديانة الاسلامية المنزلة الاولى والخصوصية الكبرى .

انه يقول لنا :



« البعث العربي حركة قومية تتوجه الى العرب كافة على اختلاف اديانهم ومذاهبهم ، وتقدس حرية الاعتقاد ، وتنظر الى الاديان نظرة مساواة في التقديس والاحترام .

ولكنها ترى الى جانب ذلك ، في الاسلام ناحية قومية لها مكانتها الخطيرة في تكوين التاريخ العربي والقومية العربية .

وتعتبر هذه الناحية ذات صلة وثيقة بتراث العرب الروحي ، ومميزات عبقريتهم »(٧) .

هذا هو موقف الامة العربية من الايمان ، ويبقى موقفها من الالحاد ، وهذا هو فكر ميشيل عفلق :

« ونعتقد ان اية امة من الامم معرضة ان تجنح الى الالحاد ـ ما عدا الامة العربية التي يدخل الاسلام في نسيج شخصيتها وتاريخها .

ان الاسلام بالنسبة لها هو : دين ، وقومية وحضارة .

وهل يستطيع شعب ان يهرب من شخصيته ، ويتمرد على قوميته ، ويتنكر لحضارته »(٨) .

« ولئن وجدت شعوب تنشد الحرية بالانعتاق من الدين ، فالامة العربية تجد حريتها في الفهم المتجدد للاسلام »(٩) .

ومن حقنا ان نكتفي بهذا القدر من الحديث ففيه الوضوح الكافي لدراسة هي في الاصل للتمهيد ، وليست للبحث الدقيق العميق .

العروبة والمسيحية

في تعايشه مع العروبة والمسيحية اكتسب بعض الافكار التي نذهب الى انها قد كانت من الاسس التي قام عليها البناء الفكري القومي لميشيل عفلق .

وهذه الافكار التي اكتسبها والتي استقرت في ذهنه منذ النشأة الاولى ، قد كانت وليدة الوقائع التي صادفها ، والتي حدثت في المجتمع العربي يومذاك .

كانت هذه الوقائع تحدث في سرعة عاجلة بسبب ان الظروف التي كانت تحيط بالمجتمع العربي يومذاك ، هي الاخرى سريعة ومتلاحقة .

ونستطيع ان نستعرض من هذه الوقائع ، ومن الافكار التي نبتت معها ، ما يكفي في ابراز معالم فكر ميشيل عفلق في العروبة والمسيحية ، او بعبارة اصدق وادق ، الافكار الرئيسة التي قام عليها البنيان الفكري القومي لميشيل عفلق :

اولًا ـ واول ما نقف عنده من هذه الوقائع هي واقعة مولده .

لقد ولد ميشيل عفلق على الفطرة ـ شأنه في ذلك شأن غيره من بني الانسان .



وليس لاي واحد من بني البشر ان يختار لنفسه يوم مولده ، او الاسم الذي يسمى به ، او الدين الذي يدين به ، او المجتمع الذي ينتسب اليه ، وانما يفرض ذلك كله على المولود فرضاً ، ولا حيلة له إلا ان يستسلم .

وواقعة ميلاد ميشيل عفلق قد جرته الى ان يكتسب عن الاسرة نوعين من الانتماء ، الانتماء القومي والانتماء الديني ، ومن هنا اصبح ميشيل عفلق عربياً مسيحياً ، واخذ يتعايش منذ الولادة مع العروبة والمسيحية .

ثانياً ـ انه عندما شب عن الطوق ، ونزل الى الشارع ، وذهب الى المدرسة ، عرف ان من اقرانه من ينتمي الى ديانة اخرى غير المسيحية وهي الاسلام ، وكان معنى ذلك ان المجتمع الذي ينتمي اليه يتسع لاكثر من دين ، واكد ذلك عنده هذه المؤسسات الدينية القائمة التي تعرف باسم المساجد او الكنائس .

ان ذلك انما يعني ببساطة شديدة ـ ان هناك وحدة في البناء القومي ، وتعددية في الابنية الدينية .

ويعني ذلك امراً آخر هو ان البناء القومي هو الذي يوحّد ، وان الابنية الدينية هي التي تفرق بين ابناء المجتمع الواحد .

ولعله قد لاحظ ايضاً ان هذه الابنية الدينية لا تفرق بين ابناء المجتمع الواحد إلا عندما يكون الانسان داخل هذه الابنية . اما حين يكون خارجها ـ في الشارع مثلًا ، او في المدرسة ، او فيما شابه ذلك ، فان التفرقة لا تكون ، وان الذي يكون هو الوحدة .

وسوف نفترض ان ذلك قد كان من الاسباب التي دفعت ميشيل عفلق فيما بعد ان يعمل مع رجل الشارع ، وان يقف من مسائل الدين عند تلك التي تتعلق برجل الشارع .

اما ما يتعلق برجل المسجد او الكنيسة ، فقد تركه لرجل الدين القائم على امر المسجد او الكنيسة .

ثالثاً ـ ومن وقائع الحياة التي امدته بالافكار القومية ، انه شب وترعرع في احضان اليقظة العربية ، وكانت تنزع الى احياء التراث اعادة للوعي بالذات ، وابراز المعالم الشخصية العربية التي عمل السلطان الاعجمي للاتراك على محوها او طمس معالمها .

وكان من المشتغلين بعمليات الاحياء عدد غير قليل من المسيحيين ، ونخص بالذكر منهم هنا آل زيدان ، والسبب في هذه الخصوصية ان جدته لامه من آل زيدان ، وان جورجي زيدان من اخوال امه .

كان لهذه الوقائع اثر في تفكيره ، من حيث ان التراث هنا هو التراث الاسلامي ، وان المسيحيين الذين يعملون في ميدان احياء التراث انما يعملون في الواقع لاحياء



العروبة والاسلام في وقت معاً . ومن هنا اصبح الباب مفتوحاً امام المسيحي لدراسة التراث والكتابة فيه بصرف النظر عن كون هذا التراث اسلامياً او مسيحياً .

واكد ذلك عنده ان خال امه جورجي زيدان قد دخل هذا الميدان ، وابدع فيه حتى عدت كتبه من المراجع .

انه من هنا عمل في ميدان التاريخ ، ومن هنا بدأت علاقته بالدراسات الاسلامية .

والشيء الذي نحب ان نؤكد عليه في هذا المقام ان هذا التراث العربي ، بما فيه الاسلاميات ، كان عند المسيحي ثقافة ليس غير .

وقد يكون من المفيد ان نذكر هنا ان ميشيل عفلق كان يدعو المسيحيين الى الايمان بالاسلام كتراث ثقافي لهم يؤكد شخصيتهم العربية ويحميهم من الغزو الثقافي .

انه يقول : ولقد كانت رؤيتنا القومية الحضارية لمستقبل الامة ـ وذلك منذ بداية الحزب ـ ان يساعد الكشف عن خصوصية العلاقة بين العروبة والاسلام ، على ان تكتشف الطوائف العربية غير المسلمة ، ان الاسلام هو ثقافتها . وحضارتها ، وأثمن شيء في عروبتها ، تباهي به حضارات الامم الاخرى .

ومن قبل بداية الحزب بسنين عديدة ، كان ادراكنا لخطر الاستعمار الثقافي الغربي على هذه الطوائف ، وان انقاذ هذه الطوائف من الغربة الحضارية ، لا يكون بغير تعميق الثقافة العربية الاسلامية وتعميمها كثقافة للامة كلها[١٠] .

ويقول : « وسوف يعرف المسيحيون العرب ، عندما تستيقظ فيهم قوميتهم يقظتها التامة ، ويسترجعون طبعهم الاصيل ، ان الاسلام هو لهم ثقافة قومية يجب ان يتشبثوا بها حتى يفهموها ويحبوها فيحرصوا على الاسلام حرصهم على اثمن شيء في عروبتهم »[١١] .

رابعاً ـ ومن الوقائع المهمة جداً ، والتي تعايشت فيها العروبة والمسيحية بصدق واخلاص ـ الحركة القومية .

قامت هذه الحركة على اساس من مبدأ القوميات ، وكانت تستهدف يومذاك الانفصال عن الدولة العثمانية ، وقيام الدولة العربية المستقلة الموحدة .

شارك المسلمون والمسيحيون في هذه الحركة ، وكان الصوت المسيحي هو الاعلى بسبب الظروف السياسية ، ويحدثنا ميشيل عفلق عن ذلك حين يقول :

« حركة البعث وجدت في فترة تاريخية فاصلة ـ بين مرحلة استنفدت اغراضها ، ومرحلة مضطربة قلقة ورؤيتها للمستقبل غير واضحة .

المرحلة التي استنفدت اغراضها كانت مرحلة القومية العربية المجردة التي



اقتضاها الصراع التحرري ضد الهيمنة العثمانية ، فلم تكن تستطيع رفع شعار الاسلام الذي كان هو شعار الدولة المهيمنة .

واستمرت الحال حتى بعد الظروف التي اوجبت ذلك .

واستجدت ظروف هيمنة الاستعمار الغربي على الاقطار العربية ، هذه الظروف هي التي اعادت الامور الى نصابها حين اعادت الاسلام الى العروبة ، الى القومية العربية لضرورة المواجهة الحضارية مع الاستعمار الغربي .

ولكن ذلك لم يتم بالنسبة الى حركة البعث نتيجة دراسة وتحليل مجردين للظروف القديمة والمستجدة ـ بقدر ما جاء نتيجة معاناة طويلة ، ولدت من الواقع الحي ، ومن التجربة النزيهة ، وموجبات ظروف النضال التحرري والاجتماعي ، الوطني والقومي .

وقد تلخصت في نظرة الى التقدم ونظرة الى الاسلام ، ولدت منهما نظرة جديدة للاسلام كثورة عربية ، انسانية ، حضارية ، قابلة للتجدد والانبعاث في كل مرحلة تاريخية مصيرية من حياة الامة العربية .

وهكذا بدأ طريق المستقبل العربي يزداد وضوحاً ، فهو لا يمكن إلا من خلال الثورة باتجاه التقدم .

ولكن باستلهام الاصالة التي تجسدها ثورة الاسلام بواقعها العربي وجوهرها الانساني وابعادها الحضارية »[١٢] .

وتسلمنا اقوال ميشيل عفلق السابقة الى حقيقتين نختم بهما هذا الكلام :

الاولى ـ ان الصوت المسيحي في الحركة القومية التي كانت تستهدف الانفصال عن الدولة العثمانية كان هو الصوت المرتفع ، الصوت الذي يصل بنا الى حق الانسان المسيحي في قيادة الحركة القومية ـ ولعله من هنا لم يجد ميشيل عفلق حرجاً في ان يقود حركة وينشىء حزباً .

وهنا يجب ان نشير الى ان والده كان ممن اصابهم العنت في الحركة القومية لمساهمته فيها حسب قدراته وامكاناته .

والثانية ـ ان الصوت الاسلامي اخذ يرتفع الى ان بلغ اعظم مدى له في النضال ضد الاستعمار الغربي ، وان ميشيل عفلق نفسه ممن رفعوا هذا الصوت الاسلامي ، ورأوا في ذلك عودة الامور الى نصابها .

وانه من هنا بدأ فكره يلاحق العروبة والاسلام :

العروبة والاسلام

يدور فكر ميشيل عفلق في العروبة والاسلام حول مرحلتين مهمتين من مراحل هذه



العلاقة ، مرحلتين يفصل بينهما فاصل زمني متطاول ولكنه الفاصل الذي يجدد هذه العلاقة ، ويقومها ، ولا يضعفها .

والمرحلة التاريخية الاولى هي تلك المرحلة التي نشأ فيها الاسلام نشأة عربية خالصة ، والتي كان فيها الانسان المسلم هو الانسان العربي ، وكان فيها المجتمع المسلم هو المجتمع العربي ، والذي يصح ان يقال فيها : ان الاسلام هو العروبة ، وان الاسلام هو روح العروبة ، وان الاسلام هو ابن العروبة ولكنه اصبح اباها ـ الى غير ذلك من عبارات سوف نلتقي بها فيما يلي من احاديث :

وفي هذه المرحلة كان الاسلام حركة قومية ثورية تستهدف تجديد العروبة ، او اعادة بناء العروبة من جديد على اساس جديد ـ هو النظام الاسلامي ذاته .

اما المرحلة التاريخية الثانية فهي المرحلة المعاصرة ، المرحلة التي ندعو فيها الى حركة قومية ثورية تخرج بها الامة العربية من التخلف الى التقدم ومن التجزئة الى الوحدة ، ومن التبعية الى التحرر ، ومن كل ما هو فاسد الى كل ما هو صالح ، ومن كل ما هو ضار الى كل ما هو نافع .

انها المرحلة التي تنشد فيها حقوق الانسان من الحق والعدل ، ومن الحرية والاخاء والمساواة .

انها مرحلة العروبة الحديثة ، العروبة التي تمتد جذورها في اعماق التاريخ ، تمتد الى ذلك اليوم الذي كانت العروبة فيه هي الاسلام ، والاسلام فيه هو العروبة .

وهذا اليوم لا يزال ممتداً في حاضرنا ـ كما سوف نرى .

هاتان هما المرحلتان اللتان دار فيهما فكر ميشيل عفلق حول العروبة والاسلام ، واللتان سوف نفصل القول فيهما منذ الآن .

المرحلة الاولى

في هذه المرحلة برز فكر ميشيل عفلق بروزاً قوياً في احاديثه عن المسائل العربية التالية :

اولًا ـ مسألة اختيار الامة العربية لتلقي الرسالة الخالدة : الاسلام ، ونشرها في العالم .

وكانت هذه هي الخطوة الاولى في قيام علاقة بين العروبة والاسلام وهي الخطوة التي قدرها الله سبحانه وتعالى ، فهي من تقديره هو ، وليست من تقدير احد من الناس .

وفي هذا الاختيار ، وما يترتب عليه من تبعات ومسؤوليات ، يقول ميشيل عفلق : رجل من العرب بُلِّغ رسالة سماوية فراح يدعو اليها البشر ـ ولم يكن البشر حوله



إلا عرباً .

استجاب للدعوة نفر قليل وقاومها اكثرهم ، فهاجر مع المؤمنين وحاربه المشركون الى ان انتصر الحق فآمن به الجميع .

فملحمة الاسلام لا تنفصل عن مسرحها الطبيعي الذي هو ارض العرب ، وعن ابطالها والعاملين فيها وهم كل العرب ، مشركو قريش ضروريون لتحقيق الاسلام ضرورة المؤمنين له ، والذين حاربوا الرسول ساهموا في ظفر الاسلام كالذين ايدوه ونصروه .

ان الله قادر ان ينزل القرآن على نبيّه في يوم واحد ـ ولكن ذلك اقتضى اكثر من عشرين عاماً ، وهو قادر ان ينصر دينه ويهدي اليه كل الناس في يوم واحد ـ ولكن ذلك لم يتم في اقل من عشرين عاماً ، وهو قادر ان يظهر الاسلام قبل ظهوره بعشرات القرون وفي اية امة من خلقه ـ ولكنه اظهره في وقت معين ، وفي حينه .

واختار لذلك الامة العربية وبطلها الرسول العربي ، وفي كل ذلك حكمه .

فالحقيقة الباهرة التي لا ينكرها إلا مكابر ، هي اذاً . ان اختيار العرب لتبليغ رسالة الاسلام كان بسبب مزايا وفضائل اساسية فيهم .

وان اختيار العصر الذي ظهر فيه الاسلام كان لأن العرب قد نضجوا وتكاملوا لقبول مثل هذه الرسالة وحملها الى البشر ..

فالاسلام اذاً كان حركة عربية ، وكان معناه تجدد العروبة وتكاملها .

فاللغة التي نزل بها كانت اللغة العربية ، وفهمه للاشياء كان بمنظار العقل العربي ، والفضائل التي عززها كانت فضائل عربية ـ ظاهرة اوكامنة ، والعيوب التي حاربها كانت عيوباً عربية سائرة في طريق الزوال .

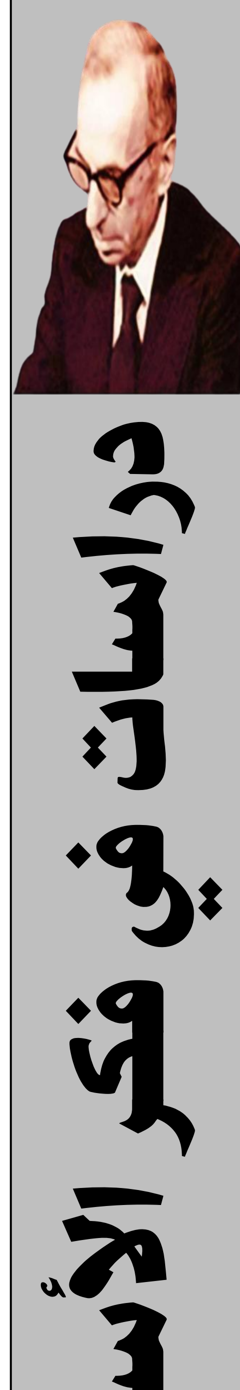
والمسلم في ذلك الحين لم يكن سوى العربي ـ ولكن العربي الجديد ، المتطور ، المتكامل »[١٣] .

وحين وصل ميشيل عفلق الى هذه الحقيقة التاريخية من امر العروبة والاسلام ، استطاع ان يقرر ان العلاقة بين العروبة والاسلام هي علاقة خاصة ، ومن نوع فريد ، لانها علاقة مصيرية .

« ثمة حقيقة كبرى لا يتجاهلها إلا المكابرون وذوو الاغراض ، وهي :

ان علاقة الامة العربية بالاسلام علاقة خاصة مصيرية وحيوية لها وللاسلام ، فلا يمكن ان يفهم الاسلام شعب مثلما يفهمه الشعب العربي ، ولا يمكن ان يشعر احد نحو الاسلام بمثل الرابطة والمسؤولية اللتين يشعر بهما العرب نحوه »[١٤] .

والامر الذي نلفت اليه الذهن هنا هو ان ميشيل عفلق قد رتب على اختيار الامة العربية لحمل رسالة الاسلام ، مسؤولية يجب ان تتحلى بها الامة العربية ولا تتخلى عنها باية حال من الاحوال ، مسؤولية كانت في القديم ، ولا تزال في الحديث ، وسوف



تظل الى ما شاء الله .

« ان الامة التي ظهرت فيها رسالة بحجم رسالة الاسلام ، ترفض الخنوع ، وترفض التبعية الفكرية والحضارية ـ ان لها طريقها الخاص ...

الامة التي حملت الى العالم رسالة الاسلام لا يمكن ان تكون قوميتها سلبية ، تعصبية ، عدوانية . فقوميتها هي في اساسها اخلاقية انسانية تحمل مبادىء العدل والمساواة .

مستوى الامة العربية هو مستوى الامم التي لها رسالات انسانية .

وانبعاث القومية العربية في هذا العصر يحمل معه بذور رسالة انسانية الى العالم »[١٥] .

ثانياً ـ مسالة الاسلام نفسه ، كونه حركة قومية ، وثورة عربية حققت تغيرات جذرية في العروبة .

وفكر ميشيل عفلق هنا في غاية الوضوح ، وأدلته على صحة ما يقول في غاية القوة .

انه يقول : « في حياتنا القومية حادث خطير ، وهو حادث ظهور الاسلام ـ حادث قومي وانساني وعالمي .

ولا اجد ان الشباب العرب يعطون هذا الحادث حقه من الاهتمام ، لا اجد انهم يدرسونه ويحيطون بكل ظروفه وتفاصيله وملابساته ـ لأن فيه عظة بالغة ، فيه تجربة هائلة من تجارب الانسانية يمكن ان تغنيهم وتغني ثقافتهم العملية والسياسية وكل شيء .

هل يفكر الشباب ان الاسلام عند ظهوره وهو حركة ثورية ـ ثائرة على كل اشياء كانت موجودة : معتقدات وتقاليد ، ومصالح ؟

وبالتالي ، هل يفكرون بانه لا يفهم الاسلام حق الفهم إلا الثوريون ؟ »[١٦] .

وثورية الاسلام كما هو واضح من النص السابق قد انصبت على العديد من الاشياء التي كانت موجودة في عروبة ما قبل الاسلام ـ وبخاصة ما كان من قبيل المعتقدات ، والتقاليد والعادات ، والمصالح .

وليس يخفى ان هذه التغيرات الجذرية في هذه الميادين هو الذي ارتفع بالعروبة من مستواها الحضاري السابق ـ الجاهلية ـ الى مستواها الحضاري اللاحق ـ الاسلام .

وفي هذه العمليات الدينية والاجتماعية يقول ميشيل عفلق : « فالاسلام روح العروبة ، ومكون شخصية الامة العربية ـ ومع ظهوره دخلت القومية العربية مرحلة جديدة ناضجة وحاسمة ، حتى ليمكن القول بأنها خلقت مع هذا الحدث التاريخي

العظيم .

فالعرب اصبحوا مع الاسلام امة عظيمة ـ ولكن الامة العربية هي التي حملت رسالة الاسلام وقوته من قوتها ، كما ان ضعفها يضعفه ... »[١٧] .

ويمضي فكر ميشيل عفلق الى ما هو ابعد من هذا المستوى الحضاري ، ويذكر لنا ان الامة العربية قد اكتسبت من الاسلام بعض الصفات التي دفعت بها الى مصاف القدسية والخلود وما الى ذلك ، ومن هنا اذن لنفسه بأن يجعل من الاسلام اباً للعروبة .

يقول : « والاسلام ولد في ارض العروبة ، وضمن تاريخها واهلها ، ولكنه اصبح هو اباها .

لأنها ابتداء من الاسلام ولدت ولادة جديدة ، واصبحت امة عظيمة ـ تاريخية ، لها دور اساسي في تاريخ الانسانية ، وفي صنع مستقبل الانسانية .

الاسلام اعطى للامة العربية هذه الابعاد ـ اعطاها مسؤولية الدور الانساني العظيم ، واعطى العرب مذاق الخلود وطعم الحياة الحقيقية التي هي : جهاد قبل كل شيء ، وفكرة ، ومبدأ ، وعقيدة .

ولا خوف على العروبة ما دامت مقترنة بالاسلام ـ لانه كفيل بأن يجددها ، ويوقظ فيها هذه النزعة الى السماء ، الى الخلود ، الى الافق الكوني ، الى البطولة وحمل الرسالة .

وعندها تتهاوى الامراض العالقة والمشاغل المادية والآنية ـ التي لا تليق بامتنا ، ولا تعبر عن حقيقتها وحقيقة رسالتها »[١٨] .

ثالثاً ـ مسألة الاحتراز من ان تكون عروبة الاسلام متناقضة مع انسانيته وعالميته وفي ذلك يقول :

« وعروبة الاسلام لا تتعارض مع انسانيته وعالميته ومصدره السماوي ، بل تسمو بهذه الحقائق ، وتتشرف ، وتزداد قوة »[١٩] .

ونتوقف عند هذا الحد من الحديث عن العروبة والاسلام في هذه المرحلة الاولى من مراحل العلاقة بين العروبة والاسلام ، ففي ما ذكرنا التوضيح الكافي من امر هذه العلاقة .

.المرحلة الثانية

وهي مرحلة العروبة الحديثة ، مرحلة الحركة القومية ضد كل من الدولة العثمانية والاستعمار الاوربي .

وفكر ميشيل عفلق في العروبة والاسلام هنا ، هو فكر الرجل الذي شارك في الحركة القومية بفكره ، وبقيادته لبعض القوى القومية .



كان يذهب اول الامر الى ان : الامة التي تريد ان تنهض ، وتريد ان يكون لها شان في العالم ، وان تكشف عن حقيقتها وتطلق كل امكاناتها - لا بد لها ان تعيش في عصرها ، وان تتفاعل معه ، هذه السمة الثورية ، هذا التفاعل مع الفكر ومع روح الحرية »[٢٠] .

لكنه لم يلبث ان ادرك ان هناك حقيقة اخرى الى جانب حقيقة التفاعل مع روح العصر ، وتلك هي روح التراث .

ويقول هو في ذلك : ابتدأت بالثورة نتيجة تفاعلها مع روح العصر - ولكنها ادركت ان هذا نصف العمل ، وان هذا نصف الحقيقة .

« حقيقة الامة العربية لا تكتمل إلا بالايمان ، إلا ان تسري روح الرسالة في جماهير هذه الامة ، وان تشعر بانها تقدم شيئاً ثميناً للحياة ، وللانسانية ، وللمستقبل ، وللخلود »[٢١] .

ويعود مرة ثانية الى هذه الحقيقة يؤكدها ، ويؤكد دورها الضخم في العروبة الحديثة ، حين يقول : « الامة العربية لا يمكن ان تنشيء مستقبلًا جديراً بها ، مستقبلًا في مستوى عظمتها - اذا لم ترجع الى تراثها ، واذا لم تكتشف عن طريق النضال والثورة : الجديد والخالد في هذا التراث .

تراثنا ليس شيئاً مضى وانقضى ، ليس شيئاً للتاريخ وللمتحف .

تراثنا هو سجل عبقرية هذه الامة ، والثورة العربية التي لا تستلهم هذا التراث ، مقضي عليها بالفشل .

شعبنا العربي لا يتحرك ، ولا يؤيد ، ولا يندفع في النضال والتضحية ، إلا وراء حركة فيها نفحة الرسالة ، وتكون ميزتها الاولى الاخلاقية »[٢٢] .

وهكذا نرى فكر ميشيل عفلق يتجه نحو التراث ، ويقدر اهميته في الثورة العربية ، او الحركة العربية المعاصرة .

وليس يخفى ان هذا التراث الذي له هذه الاهمية هو من نتاج التزاوج بين العروبة والاسلام .

وهنا لا بد من الاشارة الى الدوافع التي دفعت بميشيل عفلق الى التوجه نحو التراث بهذه الفاعلية الصادقة .

انه يكشف لنا عن هذه الدوافع حين يتحدث عن التحديات التي كانت تواجهها الامة العربية وهي في حالة فقر فكري - وبخاصة التحدي الشيوعي .

يقول مرة : ان الواقع الذي لا محيد عن الاعتراف به ، هو ان غزو الحضارة الغربية للعقل العربي في وقت جف فيه هذا العقل حتى امسى قوالب فارغة ، يسر لتلك الحضارة ان تملأ بمفاهيمها ومعانيها فراغ هذه القوالب ...



فحيلة الاستعمار الاوربي لم تكن في انه قاد العقلية العربية الى الاعتراف بالمبادىء والمفاهيم الخالدة ـ إذ ان هذه العقلية معترفة بها ، وقائمة عليها منذ نشاتها ـ ولكن هي في اغتنامه فرصة جمود العقلية العربية وعجزها عن الابداع ليضطرها الى تبني المضمون الاوربي الخاص لهذه المفاهيم .

فنحن لسنا نخالف الاوربيين في مبدأ الحرية ـ بل في ان الحرية تعني الذي يفهمونه منها »[٢٣] .

ويقول اخرى : « قرأنا الاسلام ، هذا الاسلام هو : الاسلام بعد قراءة الشيوعية ـ بعد مواجهة التحدي الاستعماري الغربي وحضارته ، وبعد الاطلاع على الحل الثوري الشيوعي الآتي من الغرب ايضاً ، فهي اذاً قراءة من خلال موقف مصيري من تحديات الاستعمار والحضارة الغربية ، ومن تحديات الفكر الشيوعي ...

قلت : ان المواجهة كانت بالدرجة الاولى مع الشيوعية »[٢٤] .

هذه هي الدوافع التي دفعت بميشيل عفلق الى العودة الى التراث ، والاعتماد على التراث في الحركة القومية المعاصرة .

وهو في قراءته للتراث لم يرجع الى الكتب بقدر ما رجع الى ضمير الشعب وكيف يختزن اهم قيم التراث ، وفي هذا يقول :

« شعبنا ظامىء لنهضة حضارية ، شعبنا متهيىء ليقظة روح الرسالة العربية فيه . هذا الشعب الذي لن ينسى تاريخه ، والذي عاش قبل قرون تلك الملاحم من البطولات ، ومن الانجازات الحضارية والاخلاقية التي خلقت للعالم بأسره مناخاً سامياً جديداً ، مناخاً روحياً .

هذا الشعب لا يرتضي العمل السياسي الاحترافي ـ ان لم يجد ان له صلة بقيمه الروحية ، بتراثه الخالد .

ولا ندعي اننا اوجدنا شيئاً جديداً ـ وانما كل ما فعلناه اننا اصغينا لروح الشعب ، التقطنا الصوت العميق لضمير الشعب ، التطلع الصادق لجماهير امتنا العربية لأنها تريد ، وتتوق الى نهضة شاملة ، والى حياة كاملة يسودها الانسجام ، ويختفي فيها التناقض ، ولا تحقق تقدماً في مجال على حساب قيمة اخرى عزيزة ، لا تدخل العصر وتمتلك ادوات الحداثة على حساب تراثها وقيمها الروحية ، وماضيها ، وتاريخها »[٢٥] .

وهكذا ينتهي ميشيل عفلق الى نتيجة منطقية تعبر لنا اصدق تعبير عن فكر ميشيل عفلق في العروبة والاسلام .

وعبر هو عن هذه النتيجة المنطقية حين قال : فالاسلام كان ، وهو الآن ، وسيبقى روح العروبة ، وسيبقى هو قيمها الانسانية والاخلاقية والاجتماعية .



هذا هو الاخلاص للشعب ، هذا هو حب الشعب ، هذه هي الحقيقة .

صحيح انا نصل اليها بصورة اصدق واعمق عندما نقترب من شعبنا ، ونصغي الى دقات قلبه ، الى خلجات ضميره ، الى هذا الترادف ، هذا التمازج بين العروبة والاسلام »(٢٦) .

والآن الى شيء مهم جداً ، وهو التعرف على العائد الذي عاد به ميشيل عفلق على الحركة القومية من جراء هذا الذي انتهى اليه من علاقة بين العروبة والاسلام .

وهنا استطيع ان احدد مجالات هذا العائد على الوجه التالي :

اولًا ـ الامة العربية .

ثانياً ـ الحركة القومية او الثورة العربية .

ثالثاً ـ حزب البعث .

وابدأ بالحديث عن الامة العربية .

لقد سبق واشرنا في المرحلة الاولى ـ لماذا اختار الله سبحانه وتعالى الامة العربية لتلقي الرسالة الإلهية ، وقلنا ان ذلك الاختيار يشير الى ان هناك ميزة للامة العربية .

ولقد اصبحت الامة العربية بذلك امة حاملة رسالة إلهية خالدة .

وهذا هو الشعار القومي لحزب البعث العربي : امة عربية واحدة ذات رسالة خالدة .

وفي فكر ميشيل عفلق ان الامة التي يقدر لها ان تكون حاملة رسالة خالدة ، يجب ان تتوفر لها الشروط التالية :

اولًا ـ ان تكون لها طريقتها الخاص بها ، والذي يميزها عن غيرها ، وفي ذلك يقول ميشيل عفلق :

« ان الامة التي يختارها القدر لتكون مسرحاً لمثل هذه التجربة البشرية السماوية ، هي امة حكم عليها والى الابد ، ان تكون متميزة عن باقي البشر ـ لانها ذاقت طعم شيء لم يشاركها احد فيه ...

لا يمكن ان تستطيب شيئاً اقل من مستوى الوحي الإلهي ، الشيء السماوي الذي هو ايضاً بشري متجسد في عقل بشري واضح .

عندما نضع يدنا على هذه الميزة التي للامة العربية بهذا الوضوح وهذه الواقعية ، وهذه القوة ، فلا شك انها توحي بطريق خاص للثورة العربية .

ليس المطلوب فيه ان نخالف العقل البشري ، او ان نخالف العصر والقوانين العلمية ـ فمن ضمن القوانين البشرية ، ومن ضمن قوانين العقل والعلم ، يعطي هذا الاكتشاف لحركة الثورة العربية خصوصية .

يعطيها مستوى واخلاقية معينة ، كما يعطيها سمة انسانية ، وكونية ، يعطيها



اتساعاً وشمولاً »[٢٧] .

ثانياً ـ ان تكون قوية ، قادرة على نشر رسالتها الخالدة ، وغير قابلة للتبعية ، او الانصراف عن الطريق الخاصة بها .

وفي فكر ميشيل عفلق ان اليقظة القومية للامة العربية قد جاءت مقترنة برسالة دينية ـ الامر الذي يفرض عليها ان تكون قوية ...

« ان العرب ينفردون دون سائر الامم بهذه الخاصية ، ان يقظتهم القومية اقترنت برسالة دينية ـ او بالاحرى ـ كانت هذه الرسالة مفصحة عن تلك اليقظة القومية ، فلم يتوسعوا بغية التوسع ، ولا فتحوا البلاد وحكموا استناداً الى حاجة اقتصادية مجردة ، او ذريعة عنصرية ، او شهوة للسيطرة والاستعباد ـ بل ليؤدوا واجباً دينياً كله حق وهداية ورحمة وعدل وبذل ، اراقوا من اجله دماءهم ، واقبلوا عليه خفافاً متهللين لوجه الله » (ج ١ ص ١٤٥) .

وما دام الارتباط وثيقاً بين العروبة والاسلام ، وما دمنا نرى في العروبة جسماً روحه الاسلام ، فلا مجال اذاً للخوف من ان يشتط العرب في قوميتهم ، انها لن تبلغ عصبية البغي والاستعمار .

وطبيعي ان العرب لا يستطيعون اداء هذا الواجب إلا اذا كانوا امة قوية ناهضة ـ لأن الاسلام لا يمكن ان يتمثل إلا في الامة العربية ، وفي فضائلها ، واخلاقها ومواهبها .

فاول واجب تفرضه انسانية الاسلام اذاً ، هو ان يكون العرب اقوياء سادة في بلادهم »[٢٨] .

ثالثاً ـ انه لا يحق لها ان تتخلى عن تأدية هذه الرسالة الانسانية باي حال من الاحوال ، ان عليها ان تقوم بذلك في كل الحالات ، واذا قدر عليها الضعف فان الواجب يقتضي ان تنهض لتؤدي الرسالة الخالدة التي تحملها .

وفكر ميشيل عفلق في ذلك :

« مستوى الامة العربية هو مستوى الامم التي لها رسالات انسانية الى العالم .

ولقد حدد التراث لهذا الانبعاث مستواه منذ البداية ، فهو على مستوى الدور الرسالي ... في عمقه ... في صدقه ... في شموله .

وهذا المستوى يكون حافزاً وملهماً ـ كما يكون مراقباً صارماً .

فالامة العربية مطالبة بان تنهض . التاريخ يدعوها ، والعالم الحاضر يطالبها بأن تنهض لتؤدي دورها الاساسي الضروري : تصحيح سير البشرية وتقدمه .

ليست مطالبة من ابنائها فحسب ، ليست مسؤولة عن نفسها فحسب . ان لها دوراً انسانياً يجب ان تقوم به ـ لذلك فهي لا تستطيع ان تتساهل في امر نهضتها

وثوريتها .

إما ان تكون ثورة اصيلة ، او لا تكون ابداً »[٢٩] .

وننتقل الآن الى المجال الثاني ، وهو مجال الحركة القومية او الثورة العربية .

وهنا سوف نجد المواقف الفكرية التي يؤكد فيها ميشيل عفلق قوة العلاقة بين العروبة والاسلام وكيف نشات هذه العلاقة في العروبة الحديثة ، وكيف ان العروبة الحديثة لا يمكن بأي حال من الاحوال ان تنفصل عن الاسلام ، او حتى تتجاهل الاسلام .

انه يقول لنا في نشأة هذه العلاقة الحديثة :

حركة البعث وجدت في فترة تاريخية فاصلة بين مرحلة استنفدت اغراضها ، ومرحلة مضطربة قلقة ـ ورؤيتها للمستقبل غير واضحة .

المرحلة التي استنفدت اغراضها كانت مرحلة القومية العربية المجردة التي اقتضاها الصراع التحرري ضد الهيمنة العثمانية ، فلم تكن تستطيع رفع شعار الاسلام الذي كان هو شعار الدولة المهيمنة ، واستمرت الحال حتى بعد ان زالت الظروف التي استوجبت ذلك .

واستجدت ظروف هيمنة الاستعمار الغربي على الاقطار العربية ـ هذه الظروف هي التي اعادت الامور الى نصابها حين اعادت الاسلام الى العروبة ، الى القومية العربية ، لضرورة المواجهة الحضارية مع الاستعمار الغربي .

ولكن ذلك لم يتم بالنسبة الى حركة البعث نتيجة دراسة وتحليل مجردين ، للظروف القديمة والمستجدة ، بقدر ما جاء نتيجة معاناة طويلة ولدت من الواقع الحي ، ومن التجربة النزيهة وموجبات ظروف النضال التحرري الاجتماعي ، الوطني والقومي .

وقد تلخصت في نظرة الى التقدم ، ونظرة الى الاسلام ـ ولدت منهما نظرة جديدة للاسلام كثورة عربية انسانية حضارية ، قابلة للتجدد والانبعاث في كل مرحلة تاريخية مصيرية من حياة الامة العربية .

وهكذا بدأ طريق المستقبل العربي يزداد وضوحاً ، فهو لا يبنى إلا من خلال الثورة باتجاه التقدم ـ ولكن باستلهام الاصالة التي تجسدها ثورة الاسلام : بواقعها العربي، وجوهرها الانساني ، وابعادها الحضارية »[٣٠] .

ويعود ميشيل عفلق الى نفس الفكرة حين يتحدث عن الموقف القومي في مرحلة الانبعاث ، وكيف كان الاسلام احد الاختيارات . انه يقول :

« لقد كانت اللحظة التاريخية في حياة الثورة العربية المعاصرة ، هي سلامة الاختيار ـ ولم يكن الاختيار بسيطاً ...



وقد كان الموقف من التراث القومي ـ اي من الاسلام وعلاقته الوثيقة بمرحلة الانبعاث القومي المعاصرة ، معبراً عن احد الاختيارات الكبرى لحزب البعث الذي قام منذ البدء على تصور ثوري للتراث ...

وليس موضوع التراث في حزبنا اليوم ، ولم يكن في الماضي ، موضوع مناسبات وظروف ـ بل هو محور اساسي لتفكيرنا ...

فاستلهام التجربة الخالدة في حياة الامة العربية انما يعني استلهام الابداع ، والدوافع والقيم الانسانية العميقة ، القيم الثورية التي لا تخول الامة العربية حقوقاً وامتيازات ـ بقدر ما تحمل ثورتها المعاصرة مسؤولية كبرى ، وواجبات عالية ، نحو نفسها ونحو الانسانية .

انه تاصيل لفكر الحزب ، وليس تراجعاً عن تقدميته ونهجه العلمي »[٣١] .

ويمضي ميشيل عفلق الى ما هو ابعد من هذا ، ويقول لنا في عبارة صريحة لا لبس فيها ولا غموض ، ان الاسلام هو اعمق الحقائق في حياة القومية العربية ، وانه روح هذه القومية وافقها الاخلاقي والانساني .

« ومن اجل قوميتنا ، ولكي تكون صحيحة ، وصادقة ، ومكتملة الجوانب والابعاد الروحية والاخلاقية والحضارية ، نظرنا الى اعماق هذه القومية ، والى جذورها والينابيع التي تنهل منها ، فوجدنا الاسلام اهم واعمق حقيقة في تكوينها ، وانه روحها وافقها الاخلاقي والانساني »[٣٢] .

هذا هو فكر ميشيل عفلق في العروبة والاسلام ـ العروبة المعاصرة والاسلام المعاصر ، وهو فكر واضح كل الوضوح وصريح كل الصراحة ، ولعل القضية التي تحتاج الى مزيد من الايضاح هو الظن بأن القومية العربية مع ارتباطها القوي بالاسلام يوحي بأن هذه القومية ليست إلا الرجوع الى الماضي ، وفي هذه المسالة يقول ميشيل عفلق :

« ان قوميتنا ليست رجوعاً الى التاريخ ـ بل هي تطلع الى المستقبل من خلال مشاكل الحاضر .

وان التاريخ يلقي ضوءاً على طريقنا ـ ولكنه ليس قيداً لنا ، ولا حتمية مفروضة علينا .

وان مستقبلنا امامنا ـ لا وراءنا .

فقد كانت المسألة منذ البدء : كيف تتكون حركة عربية ثورية ، وتبقى مالكة ارادتها ، مسيطرة على نفسها ، تلتزم الصدق مع النفس ومع الشعب في كل الظروف والاوقات ، وتمتلك رحابة في الصدر مستمدة من رحابة الارض العربية »[٣٣] .

ويؤكد ميشيل عفلق هذا المعنى في مناسبات عديدة ، اذكر منها هنا مقولته هذه :

« فالثورة العربية اذا لم تستلهم التراث ، وتستلهم روح الرسالة ، ومستوى



ضروري واساسي لفهم التاريخ ، فالموضوعية في البحث ، والفهم العلمي الذي لا يستضيء بالحب ، هو عاجز عن النفاذ الى العمق ، الى الجوهر .

لذلك زود هذا الحزب منذ بدايته بقوة حية متجددة على الايام ـ اذ انه لم يقتصر على الرؤية السياسية او الاجتماعية او الاقتصادية ، وانما غاص في الاعماق ، وحاول ان يجدد صلته بعبقرية الامة ، وان يسلك الى ذلك طريق النضال والجهاد وليس طريق المعرفة فحسب ، او التأمل فحسب ، وانما ان نفهم الماضي من خلال تحملنا لمسؤولية الحاضر .

ان نعيد الى الماضي حضوره ـ وكأنه يعمل في الآن »[٣٧] .

(١) ميشيل عفلق / الكتابات السياسية الكاملة ـ في سبيل البعث (ج ٣ ـ ص ٦٢) .
(٢) المصدر السابق ج ١ ـ ص ١١٩ ـ ١٢١ .
(٣) المصدر السابق ج ٣ ـ ص ٦٢ .
(٤) المصدر السابق ج ١ ـ ص ١٢٥ ، ١٢٦ .
(٥) المصدر السابق ج ١ ـ ص ٩٩ .
(٦) المصدر السابق ج ٣ ـ ص ١٨١ .
(٧) المصدر السابق ج ١ ـ ص ١٧٤ .
(٨) المصدر السابق ج ٣ ـ ص ٢٢٣ .
(٩) المصدر السابق ج ٣ ـ
(١٠) المصدر السابق ج ٣ ـ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ .



(١١) المصدر السابق ج ١ ـ ص ١٤٨ .

(١٢) المصدر السابق ج ٣ ـ ص ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(١٣) المصدر السابق ج ١ ـ ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

(١٤) المصدر السابق ج ٣ ـ ص ٢٦٩ .

(١٥) المصدر السابق ج ٣ ـ ص ١١٦ .

(١٦) المصدر السابق ج١ ـ ص ١١٦ ، ١١٧ .

(١٧) المصدر السابق ج ٣ ـ ص ١٦٣ .

(١٨) المصدر السابق ج ٥ ـ ص ٤١٦ .

(١٩) المصدر السابق ج ٣ ـ ص ٢٢٣ .

(٢٠) المصدر السابق ج ٣ ـ ص ٩٦ .

(٢١) المصدر السابق ج ٣ ـ ص ٩٩ .

(٢٢) المصدر السابق ج ٣ ـ ص ٢٢ .

(٢٣) المصدر السابق ج ١ ـ ص ١٤٧ .

(٢٤) المصدر السابق ج ٣ ـ ص ٦٢ ، ٦٣ .

(٢٥) المصدر السابق ج ٥ ـ ص ٢٩٣ .

(٢٦) المصدر السابق ج ٥ ـ ص ٢٩٤ .

(٢٧) المصدر السابق ج ١ ـ ص ١٤٥ .

(٢٨) المصدر السابق ج ١ ـ ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٢٩) المصدر السابق ج ٣ ـ ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٣٠) المصدر السابق ج ٣ ـ ص ٢٧٠ / ٢٧١ .

(٣١) المصدر السابق ج ٣ ـ ص ١٢١ / ١٢٢ .

(٣٢) المصدر السابق ج ٣ ـ ص ١٨١ .

(٣٣) المصدر السابق ج ٣ ـ ص ٢٠٧ .

(٣٤) المصدر السابق ج ٣ ـ ص ٤٧ .

(٣٥) المصدر السابق ج ٣ ـ ص ٨٩ .

(٣٦) المصدر السابق ج ٣ ـ ص ١١٠ .

(٣٧) المصدر السابق ج ٥ ـ ص ٤١٥ ، ٤١٦ .

العروبة والاسلام في فكر الاستاذ ميشيل عفلق

* د. محمد عابد الجابري

لعل اصدق وصف ينطبق اكثر من غيره على فكر الاستاذ الراحل ميشيل عفلق هو انه فكر شمولي ، فما من قضية إلا ونجده ينظر اليها في ارتباطها مع غيرها من القضايا التي تتداخل معها نوعاً من التداخل ، وهذه الشمولية في فكره ترجع في نظرنا الى ثلاثة عوامل : او لنقل انها كانت ذات ثلاثة ابعاد :

فالرجل كان ، اولًا ، مؤسس حزب وقائده ، فكان عليه ان يتابع الواقع في تموجه وتنوعه ، في جزئياته وكلياته ، حتى تاتي مواقفه السياسية والايديولوجية ، متكاملة منسجمة مع بعضها خالية من التناقض ، كما كان عليه ان يرد على الاحزاب الاخرى المنافسة ، مهما اختلفت مشاربها وتباينت مواقفها ، من منطلق واحد مبدئي ، ومن رؤية واحدة شمولية . ولم يكن الواقع الذي كان يتعامل معه الرجل واقع قطر بمفرده ، بل الواقع العربي بكل عناصر التنوع التي يزخر بها ، واقع اقطار من بينها ما يضم اقليات دينية او أثنية ، ومن بينها ما يهيمن فيها عنصر واحد او دين واحد ومذهب واحد ، هذا علاوة على اختلاف سكان هذه الاقطار على مستوى الوعي والتطور والحداثة . لقد كان الرجل مؤسس حزب يعمل على ان يكون له وجود فعلي وفعال في الاقطار العربية كافة فكان لا بد اذاً من نظرة شمولية تستوعب تلوينات الواقع العربي وتموجاته ، من الخليج الى المحيط ، وتستدعي من الاجوبة للاسئلة المطروحة فيها ما لا يتناقض مع الخط العام والتصور المبدئي الذي يتمسك به . واذاً فالنظرة الشمولية هنا تفرضها طبيعة الموضوع ذاته .

وكان الرجل ، ثانياً ، رجل فكر في الاساس ، ذا نظرة فلسفية الى الامور ، وبالتالي فمواقفه كانت مبدئية وستراتيجية ولم تكن مجرد مواقف تكتيكية . فعلًا ، كان تخصصه ايام الدراسة هو التاريخ ، ولكن نظرته الى التاريخ ، والتاريخ العربي بخاصة ، كما عبر عنها او كما يمكن ان تستخلص من كتاباته ، لم تكن نظرة المسجل

* مفكر عربي مغربي



للحوادث في تسلسلها ، الغارق في فرادتها وزمنيتها ، بل كانت نظرته نظرة فيلسوف ، فكان اقرب الى فيلسوف التاريخ منه الى المؤرخ بالمعنى الاصطلاحي للكلمة . ومن هنا الجانب العمودي ، او العمق التاريخي ، في فكره الشمولي ، العمق الذي يتكامل مع الامتداد الافقي الذي ابرزناه من قبل . لقد نظر الى الواقع العربي من خلال مكوناته الراهنة ، منفعلاً معها ومجيباً على اسئلتها ، وفي الوقت نفسه كان يرى هذا الواقع الراهن من خلال ما تحقق في ماضيه من بطولات وامجاد وما يجب ان يتحقق في مستقبله من نهوض وتقدم ، فالمكان والزمان في نظرته الشمولية لا ينفصلان بل هما بعدان لرؤية واحدة تحرص على امساك الاجزاء داخل الكل الذي يضمها .

وكان الرجل ، ثالثاً ، صاحب مذهب، بل صاحب رسالة . كان يؤمن بالوحدة العربية ويعمل لنشر الفكرة القومية ، الفكرة التي ترى في العرب ، من المحيط الى الخليج قوماً واحداً ، امة واحدة تكونت انطلاقاً من البعث المحمدي ، من رسالة الاسلام التي كان يرى فيها رسالة العرب الى العالم اجمع ، الرسالة التي ادوها في الماضي والتي عليهم الآن ان ينهضوا ليؤدوها من جديد . فـ « البعث » وهو الاسم الذي اختاره للحزب الذي اسسه ، لا يعني مجرد انبعاث في الحاضر ومنه ، مجرد النهوض ، بل يعني اكثر من ذلك ، بعث النموذج المحمدي الحامل لرسالة العرب ،وذلك باستلهام بطولات الرسول العربي وتضحياته والاقتداء بروحه النضالية وسلوكه المثالي . فـ « البعث » في نظره لم يكن مجرد بعث لحاضر من فراغ ولا مجرد اعادة لبعض ما مضى ، على صعيد الذاكرة ، بل انه احياء ما مضى في الحاضر على صعيد الاستلهام والمعاناة من اجل صنع المستقبل الذي يتلاءم مع ذلك الماضي ويكون جديراً بأن يصبح امتداداً له . ذلك هو الخيط الموجه لتفكير الاستاذ ميشيل في معالجته لقضية النهضة والتقدم ، الخيط الذي يقود تفكيره في جميع القضايا التي عالجها وفي مقدمتها قضية « العروبة والاسلام » موضوع حديثنا .

سيكون علينا اذاً ان نعمل على عرض رأيه في هذه القضية التي تشكل بحق احدى القضايا المركزية في تفكيره ان لم تكن القضية المركزية الاولى ، سيكون علينا ان نعمل على عرض مجمل رأيه في هذه القضية داخل الشمولية التي يتميز بها تفكيره والتي تحددها الابعاد الثلاثة التي ذكرنا : بعد الواقع ، وبعد الماضي ، وبعد الرسالة التي تربط الحاضر بالماضي في اتجاه المستقبل . وقضيتنا هنا ، قضية العلاقة بين العروبة والاسلام كما عالجها الاستاذ الراحل تتطلب منا الارتفاع الى شمولية فكره ، اعني النظر اليها من خلال جميع القضايا الفرعية المتصلة بها والتي حرص الاستاذ الراحل على استحضارها وتقديم الجواب المناسب لها في اطار نظريته العامة .

ذلك ان مسألة « العروبة والاسلام » في فكر الاستاذ ميشيل لم تكن مجرد ثنائية



تتألف من زوجين قد يبدو لبعض الناس انهما متنافران او متعارضان ، بل انها ، بالعكس من ذلك تماماً ، مسألة العلاقة الصميمة الموحِّدة بين هذين الزوجين ، العلاقة الموحِّدة التي تجد فيه االازواج الاخرى ، المفصحة عن بعض مظاهرها ، ما يزيل عنها كل تعارض او تنافر . وبعبارة اخرى ان فهم تصور الاستاذ ميشيل للعلاقة بين العروبة والاسلام يستلزم استحضار مواقفه من القضايا التي لها علاقة بالعروبة من جهة وبالاسلام من جهة ثانية ، لان هذه المواقف في جملتها هي التي تؤسس موقفه العام من العلاقة المذكورة .

وهكذا سيكون علينا ان نعرج على موقفه من الدين والالحاد ، من الرجعية الدينية ومن الشيوعية ، بصورة عامة ، ثم موقفه من الاسلام والتراث العربي الاسلامي خاصة ، مع التركيز على فهمه للبعث المحمدي ولرسالته ، الاسلام ، بصورة اخص . ثم سيكون علينا بعد ذلك ان نعرض لفهمه لفكرة القومية ولتصور للعلاقة بين القومية والدين من جهة ، والعلاقة بين القومية والعروبة من جهة اخرى ، عارضين في نفس الوقت لموقفه من مسألة الاقليات ، سواء بالنسبة للقومية العربية او بالنسبة لدين الاغلبية الذي هو الاسلام ، واخيراً ، وليس آخراً ، سيكون علينا ان نعرج على رأيه في العلاقة بين الدين والدولة مركزين على تصوره المتميز والاصيل لفكرة العلمانية ومدلولها الخاص في الدولة القومية العربية . ان الالمام بمواقفه المتميزة من هذه القضايا امر ضروري لأن العلاقة بين العروبة والاسلام تقع بالضبط في قلب هذه القضايا جميعاً .

لقد قلنا اننا سنعرض ، ولم نقل « سنحلل » ، لأن مواقف الاستاذ من هذه القضايا مواقف صريحة وواضحة لا تحتاج الى تأويل ولا الى تعليق . واذا كان الاستاذ لم يؤلف كتاباً ممنهجاً في الموضوع وانما شرح آراءه وتصوراته في مقالات وخطب واحاديث وبيانات تمتد على مدى ازيد من خمسين سنة ، فان الباحث لا يجد في جميع هذه السنوات الخمسين ، وفي كل ما كتب خلالها ، ما يشوش على الموقف المبدئي ولا ما يمكن ان يعد تناقضاً او تراجعاً . ان مهمتنا هنا ستقتصر اذاً على بناء تصوره الشمولي للعلاقة بين العروبة والاسلام من خلال نصوصه نفسها . ان احسن عرض وشرح وتحليل للفكر الواضح الصريح هو تركه يعبر بنفسه ليخاطب القارىء بلغته . لنبدأ اذاً بعرض موقفه من القضايا التي تشكل مضمون موقفه العام من القضية المركزية التي تهمنا هنا ، ولننطلق من موقفه من الدين عموماً ومن الاسلام خصوصاً .

— ١ —

كان موقف الاستاذ ميشيل من الدين واضحاً ومتكاملًا ، فهو ينطلق من مبدأ



اساسي عبر عنه بقوله : « ان الروح هي الاصل في كل شيء ، وان الدافع الروحي العميق لا يسيطر على المادة والوسائل فحسب وانما يخلقها ايضاً »[1] كما يؤكد ان « الدين كما يظهر لنا من استعراض تاريخ البشر منذ اقدم العصور الى اليوم هو شيء اساسي في حياة البشر » . وانطلاقاً من هذا المبدأ يعلن بوضوح ان حزب البعث « يطرح جانباً ذلك الاستخفاف الرخيص بالدين الذي يظهر عند بعض الشبان السطحيين » مؤكداً ان « موضوع الدين هو موضوع جدي ولا يمكن ان نحله بكلمة او بحكم سطحي عابر ، ولكن يجب ان يفرق بين الدين في حقيقته ومرماه وبين الدين كما يتجسد او يظهر في مفاهيم وتقاليد وعادات ومصالح ، في ظرف ومكان معينين[2] .

ولكن كيف نحدد « الدين في حقيقته ومرماه » كيف نميز بينه وبين المفاهيم والعادات التي تجسد مظهره السطحي ؟ يجيب الاستاذ ميشيل قائلًا : « لا دين مع الفساد والظلم والاستثمار (= الاستغلال) ، وان الدين الحقيقي هو دوماً مع المظلومين ومع الثائرين على الفساد » . ان الدين في تصوره انما وجد « ليشجع المحبة والاخاء ، ليحمي الضعيف ، ولكن اصبح بممثليه سياجاً لكل هذه المساوىء مساوىء الظلم والفساد والالحاد[3] . ويحذر الاستاذ من « الفهم السطحي » للدين الذي يقوم على « ان نستنتج بسرعة ، انه ما دام مظهر الدين في هذا الوقت وما دام ممثلو الدين الرسميون هم في صف الواقع الفاسد وليس في صف الثورة على الفساد ، فإذاً : الدين من اساسه فاسد لا وجوب له ولا خير فيه ، لذلك يجب التخلص من الدين لانه سلاح بيد الظالمين والمفسدين » ، يرفض الاستاذ هذا النوع من الفهم للدين قائلًا : « هذه هي النظرة السطحية والاستنتاج الخاطىء جداً ، وهذه هي النظرة التي توقفت عندها الشيوعية » التي ترى : انه « ما دام الدين قد استخدم خلال التاريخ ، وبصورة خاصة خلال التاريخ الحديث ، حيث تفاقمت الفروق الطبقية والاستغلال الطبقي ، ما دام قد استخدم لابقاء الاستغلال واستمراره ودعمه ... لذلك رأت الماركسية ان تنسفه نسفاً » . يرفض الاستاذ هذا الموقف رفضاً قاطعاً ثم يقول « نحن لا نقر هذا الدافع على ما فيه من واقعية اذ ينبني على ضعف ثقة بالانسان بأنه لا يتحمل هضم الحقيقة الكاملة » ، ولذلك « فرغم معرفتنا الطريقة الرجعية التي استخدم الدين بها ليكون داعماً للظلم والتأخر والعبودية نثق رغم ذلك بأن الانسان يستطيع أن يثور على هذه الكيفية في استخدام الدين وعلى هذا النوع من التدين الكاذب والمشوه وان يعطي في نفس الوقت للدين الحقيقي الصادق حقه » .

ومن هنا كان رفض موقف الشيوعية من الدين يستلزم ايضاً رفض موقف الرجعية الدينية ، ذلك ان « الرجعية الدينية تؤلف مع الرجعية الاجتماعية معسكراً واحداً يدافع عن مصالح واحدة ، وانها اكبر خطر على الدين » ولذلك « فبمقاومتنا للرجعية



الدينية بدون اعتدال وبدون مسايرة وبمواقفنا الجريئة المؤمنة منها ننقذ مجتمعنا العربي من تشويه الالحاد » ويقول نحن « لم نتوقف عند هذه النظرة السطحية السلبية ... ولكننا تجاوزناها وقلنا : ليس قدراً على الدين ان يبقى متحجراً دوماً . الدين قادر على ان يعود الى حقيقته اذا وجد افراداً مؤمنين يعيدون الى الدين صفاءه الاول . الدين شيء اساسي وسيرجع الى جوهره متغلّباً على النقمة » . هذا من جهة ومن جهة اخرى : « نحن لا نرضى عن الالحاد ولا نشجع الالحاد ، ونعتبره موقفاً زائفاً في الحياة .. اذ الحياة معناها الايمان ... ولكننا ننظر الى الالحاد كظاهرة مرضية يجب ان تعرف اسبابها لتداوى » واسبابها هي الظلم والفساد الاجتماعي ، ولذلك يستشهد الاستاذ ميشيل عفلق بقول الرسول العربي « كاد الفقر ان يكون كفراً » ويرى ان معناه هو « ان الاوضاع الفاسدة تخرج الانسان من دينه »[4] .

وهكذا فعلى اساس هذا الفهم لمسالة الدين يؤكد فيلسوف البعث العربي « ان الدين تعبير صادق عن انسانية الانسان ، وانه يمكن ان يتطور ويتبدل في اشكاله ، وان يتقدم او يتاخر ، ولكنه لا يمكن ان يزول » ، ولذلك نجده يؤكد ان « الدين في صميم القضية العربية والمواطن العربي الذي نعمل لتكوينه » . لأنه ، اعني الدين يؤسس الماضي ويخص الحاضر والمستقبل معاً ، كما سنرى .

— ٢ —

هذا الموقف العام والايجابي من الدين ، الذي يرفض في آن واحد الالحاد واستغلال الرجعية للدين ، وينظر بالمقابل الى الدين بوصفه يقع في صميم القضية العربية ، هذا الموقف المتعدد الابعاد والمتكامل يكتسي معنى مشخصاً عندما يتحدث الاستاذ ميشيل عن الاسلام ، الاسلام ليس فقط كعقيدة ، بل ايضاً كرسالة ، كانقلاب وثورة . وهنا نلتقي مع نوع من فلسفة التاريخ العربي عند الاستاذ ميشيل تميّز في هذا التاريخ بين حال الجاهلية وحال البعثة وصدر الاسلام ثم ما تلا ذلك من تراجع وانحطاط ، لتربط ذلك كله بالايمان الراسخ بامكانية ، بل بوجوب البعث من جديد . يقول : « لقد افصح الدين في الماضي عن الرسالة العربية التي تقوم على مبادىء انسانية » . لقد كانت الجاهلية تتميز بـ « طغيان المجموع (= القبيلة) على الفرد ، فالقيم تستمد من هذا المجموع والفرد متقيد بها . والجاهلية تمثل ايضاً تجاهلًا للقدر (= رسالة المستقبل) كانه لم يكنْ بينها وبينه اية صلة او اي تعارف واضح على الاقل . والجاهلي في شعره وتفكيره وسلوكه يعيش في عزلة المكان ووحشة الزمان ، لا يتصل بالماضي ولا يتعرف على المستقبل او يتوقع منه شيئاً . في حياته نقطة مضيئة واحدة هي سلسلة الحاضر ، انها مسرح نشاطه وبطولته ولا يمكن ان نتصور بطلًا جاهلياً بدون جمع يشاهدون بطولته ويصفقون له ... ثم يظهر الاسلام فيحدث انقلاباً



في حياة العرب وفي انفسهم . فالقيم لم تعد تستمد من المجموع كما ان الفرد ليس هو الذي يفرضها ، انها تصدر من مكان هو فوق المجموع والفرد معاً ، وفي هذا ضمان لحرية الفرد وانسجامه مع المجموع في آن واحد . اما صدر الاسلام فانه من ناحية اخرى يمثل اتحاد النفس العربية مع القدر بعد ان كانت متجاهلة له فتصبح ارادة القدر هي ارادتها بعد عزلة المكان ووحشة الزمان ، ويصبح العالم كله ، لا بل الكون كله وكل ما هو منظور وغير منظور مسرحاً لنشاطه ولتطبيق هذه القيم الجديدة التي ظهرت في الحياة العربية » . وهكذا « فالحاضر الذي كان النقطة الوحيدة التي يتمسك بها الجاهلي وينقذ بها نفسه من النسيان والعدم اصبحت في نظر العربي الجديد المسلم هي القيمة المظلمة وحدها ، وكل ما عداها مضيء لانها هي مكان التجربة والامتحان والهوة السحيقة التي لا تجتاز إلا على جسر من الجهاد والتقوى » .

غير ان « هذه الفترة التي انتقل فيها العربي من الجاهلية الى الاسلام ، من حياة سجينة في قيم المجموع وتقاليده الى حياة تتحقق فيها الحرية الفردية والمساواة بين الافراد كانت قصيرة جداً لم يلبث العرب بعدها ان غرقوا في بحر لا نهاية له من الشعوب الغريبة المختلفة . ومنذ ان فقدوا ، بعد سنوات معدودة ، شعورهم بوحدتهم القومية وغرقوا في تلك اللجة المتباينة المتماوجة من الشعوب عادوا الى عصبيتهم الجاهلية والى صراع القبائل وتنافسها ... ولقد تلت هذا عصور الضعف وتبدأ منذ ان فقد العرب هذا التجانس القومي »[٥] .

ويستخلص الاستاذ ميشيل من هذا العرض الفلسفي لتاريخ العرب النتيجة التالية يقول : « وفي حياتنا القومية حادث خطير هو حادث ظهور الاسلام ، حادث قومي وانساني وعالمي .. فيه عظة بالغة ، فيه تجربة هائلة » ، لا بل نموذج يجب ان يستلهم ويحتذى : « ان الاسلام عند ظهوره هو حركة ثورية ثائرة على اشياء كانت موجودة : معتقدات وتقاليد .. ومصالح » . لقد كان حركة « نادى بها فرد واحد في البدء وآمن بدعوته افراد قلائل ، واحد بعد الآخر ، وافراد اكثرهم ضعفاء بالنسبة الى مجتمعهم وانهم جاهروا بهذه الدعوة وتحملوا الاذى والضعف » . وينتقل الاستاذ بهذا النموذج من الماضي الى الحاضر فيتساءل : « فلو تخيلنا ان المسلمين الاولين الذين عرفوا النضال من اجل المبدأ وذاقوا كل مرارته واجتازوا امتحانه ودفعوا ضريبته .. هذه الفئة او بعض افرادها لو جاءوا اليوم وهبطوا على حياتنا العربية الحاضرة ... اي وسط يستطيبونه ويهدأون اليه ويشعرون اليه بالقرابة ؟ هل هو وسط الظلم الاجتماعي ، وسط الاغنياء والوجهاء والمستثمرين للشعب ؟ » . ويجيب « انا اعتقد بأن المسلمين الاولين لو رجعوا اليوم لما استطابوا العيش إلا في القرى المظلمة



البائسة مع المظلومين والمستعبدين ، إلا في السجون مع المناضلين ، فاصحاب دعوة الحق هم دائماً الى جانب الحق »[٦] .

واذاً فظهور الاسلام وتجربة المسلمين الاوائل لم يكونا ، في نظر فيلسوف البعث العربي ، مجرد حادث تاريخي مضى ، بل انه يرى فيهما مرجعية للثوري العربي المعاصر ، لا بل مرجعية للثوري العربي في اي زمان ومكان . ذلك ما عبر عنه بجلاء في محاضرته الشهيرة بمناسبة « ذكرى الرسول » حيث قال : « ان حركة الاسلام المتمثلة في حياة الرسول الكريم ليست بالنسبة للعرب حادثاً تاريخياً فحسب ، تفسر بالزمان والمكان وبالاسباب والنتائج ، بل انها لعمقها وعنفها واتساعها ترتبط ارتباطاً مباشراً بحياة العرب المطلقة ، اي انها صورة صادقة ورمز كامل خالد لطبيعة النفس العربية وممكناتها الغنية واتجاهها الاصيل ، فيصح لذلك اعتبارها ممكنة التجدد دوماً في روحها ، لا في شكلها وحروفها فالاسلام هو الهزة الحيوية التي تحرك كامن القوى في الامة العربية فتجيش بالحياة الحارة ، جارفة سدود التقليد وقيود الاصطلاح ، مرجعة اتصالها مرة جديدة بمعاني الكون العميقة ، ويأخذها العجب والحماسة فتنشىء تعبر عن اعجابها وحماستها بالفاظ جديدة واعمال مجيدة .. فالعرب عرفوا بواسطة هذه التجربة الاخلاقية العصيبة كيف يتمردون على واقعهم وينقمون على انفسهم في سبيل تجاوزها الى مرحلة يحققون بها وحدة عليا... وكل ما اثمر الاسلام فيها فيما بعد من فتوح وحضارات ، انما كان في حالة البذور في السنوات العشرين الاولى من البعثة . فقبل ان يفتح العرب الارض فتحوا انفسهم ... هذه التجربة ليست حادثاً تاريخياً يذكر للعبرة والفخر ، بل هي استعداد دائم في الامة العربية ـ اذا فهم الاسلام على حقيقته ـ لكي تهب في كل وقت تسيطر فيه المادة على الروح والمظهر على الجوهر » ويواصل الاستاذ ميشيل تحليله قائلًا : « حتى الآن كان ينظر الى حياة الرسول من الخارج ، كصورة رائعة وجدت لنعجب بها ونقدسها ، فعلينا ان نبدأ بالنظر اليها من الداخل لنحياها .. كل عربي في الوقت الحاضر يستطيع ان يحيا حياة الرسول العربي ولو بنسبة الحصاة الى الجبل والقطرة الى البحر .. في وقت مضى تلخصت في رجل واحد امته كلها ، واليوم يجب ان تصبح كل حياة هذه الامة في نهضتها الجديدة تفصيلًا لحياة رجلها العظيم .. كان محمد كل العرب ، فليكن كل العرب اليوم محمداً »[٧] .

ـ ٣ ـ

واضح اذاً ، ان فكراً يقدر الدين حقه ، سواء على صعيد الحياة الروحية للافراد ام على صعيد الحياة الاجتماعية ، فكراً يرى في الاسلام بعثاً عربياً ورسالة عربية الى العرب انفسهم اولًا ثم الى العالم اجمع ، لا يمكن ان يتصور العروبة والقومية تصوراً



يغيب فيه الاسلام . كلا ، ان العروبة في نظر الاستاذ ميشيل هي بدون الاسلام مفهوم سلبي وبدونه تبقى القومية العربية قالباً اجوف فارغاً . انه لا يفهم العروبة ولا القومية على انهما مجرد قضيتين من قضايا الحاضر وحسب ، بل ينظر اليهما في امتدادهما التاريخي : فالعروبة وعاء يملؤه التراث القومي الذي يشكل فيه البعث المحمدي المرجعية والمنطلق . وهذا ما يميز القومية لدى العرب عن القومية لدى الاوربيين ، وهذا ما يجعل اوربا تخاف من الاسلام ، لأن الفهم الصحيح للاسلام ، الفهم القومي له يجعله القوة المحركة للعرب من اجل التحرر والانعتاق . يقول فيلسوف البعث العربي : « ان اوربا اليوم ، كما كانت في الماضي ، تخاف على نفسها من الاسلام ، ولكنها تعلم الآن ان قوة الاسلام (التي كانت في الماضي معبرة عن قوة العرب) قد بعثت وظهرت بمظهر جديد هو القومية العربية »[٨] .

وانطلاقاً من هذا الفهم الاصيل للقومية العربية بوصفها التعبير المعاصر عن ثورة الاسلام يميز الاستاذ ميشيل بين الفكرة القومية في الغرب والفكرة القومية العربية فيرى ان القومية في الغرب عندما قررت الانفصال عن الدين كانت محقة ومنطقية لأن الدين « دخل على اوربا من الخارج فهو اجنبي عن طبيعتها وتاريخها ، وهو خلاصة العقيدة الاخروية والاخلاق ، لم ينزل بلغاتهم القومية ولا افصح عن حاجات بيئتهم ولا امتزج بتاريخهم » . اما بالنسبة للفكرة القومية العربية فالامر يختلف : ذلك « ان الاسلام بالنسبة للعرب ليس عقيدة اخروية فحسب ، ولا هو اخلاق مجردة ، بل هو اجلى مفصح عن شعورهم الكوني ونظرتهم الى الحياة واقوى تعبير عن وحدة شخصيتهم التي يندمج فيها اللفظ بالشعور والفكر ، والتأمل بالعمل ، والنفس بالقدر ، وهو فوق ذلك كله اروع صورة للغتهم وآدابهم واضخم قطعة من تاريخهم القومي ، فلا نستطيع ان نتغنى ببطل من ابطالنا الخالدين بصفته عربياً ونهمله او ننفر منه بصفته مسلماً »[٩] .

هذا التحديد الواضح والمتميز لعلاقة العروبة بالاسلام ، والذي يجعل الاسلام هو المضمون الحي للعروبة ، يطرح مسالة العلاقة التي يمكن بل يجب ان تكون للمسيحيين العرب بالاسلام . وفيلسوف البعث العربي واضح في هذه النقطة كل الوضوح . يقول : « قوميتنا كائن حي متشابك الاعضاء ، وكل تشريح لجسمها وفصل بين اعضائها يهددها بالقتل . فعلاقة الاسلام بالعروبة ليست اذاً كعلاقة اي دين بأية قومية . وسوف يعرف المسيحيون العرب ، عندما تستيقظ فيهم قوميتهم يقظتها التامة ويسترجعون طبعهم الاصيل ، ان الاسلام هو لهم ثقافة قومية يجب ان يتشبعوا بها حتى يفهموها ويحبوها فيحرصون على الاسلام حرصهم على اثمن شيء في عروبتهم » . ان عليهم ان يعرفوا هم وغيرهم من العرب المسلمين انه : « ما الاسلام



إلا وليد الآلام ، آلام العروبة ، وان هذه الآلام قد عادت الى ارض العرب بدرجة من القسوة والعمق لم يعرفها عرب الجاهلية ، فما احراها بأن تبعث فينا اليوم ثورة مطهرة مقومة كالتي حمل الاسلام لواءها . وليس غير الجيل العربي الجديد يستطيع ان يضطلع بها ويقدر ضرورتها ، لان آلام الحاضر قد هيأته لحمل لواء هذه الثورة ، وحبه لأرضه وتاريخه قد هداه لمعرفة روحها واتجاهها »[١٠] .

— ٤ —

الاسلام هو المضمون الحي والثوري للقومية العربية ، هو التراث القومي للعرب جميعاً ، مسلمين وغير مسلمين ، واذا كان الامر كذلك فما القول في كون الاسلام دعوة الى الناس كافة ، الى جميع الشعوب ؟ ان هذا الفهم القومي العروبي للاسلام لا يتنافى ، في فكر فيلسوف البعث ، مع عالميته وانسانيته ، ذلك ان « كل امة عظيمة عميقة الاتصال بمعاني الكون الازلية تنزع في اصل تكوينها الى القيم الخالدة الشاملة . والاسلام خير مفصح عن نزوع الامة العربية الى الخلود والشمول ، فهو اذاً في واقعه عربي وفي مراميه المثالية انساني ، فرسالة الاسلام انما هي خلق انسانية عربية » . وهذا الطابع الانساني العالمي للاسلام ، روح القومية العربية ، هو ما يشكل خصوصية هذه القومية : « ان العرب ينفردون دون سائر الامم بهذه الخاصة : ان يقظتهم القومية اقترنت برسالة دينية ، او بالاحرى كانت هذه الرسالة مفصحة عن تلك اليقظة القومية ، فلم يتوسعوا بغية التوسع ولا حكموا البلاد استناداً الى حاجة اقتصادية مجردة ، او ذريعة عنصرية ، او شهوة للسيطرة والاستعباد ... بل ليؤدوا واجباً دينياً كله حق وهداية ورحمة وعدل وبذل » . وهكذا فـ « ما دام الارتباط وثيقاً بين العروبة والاسلام وما دمنا نرى في العروبة جسماً روحه الاسلام فلا مجال اذاً للخوف من ان يشتط العرب في قوميتهم ، انها لن تبلغ عصبية البغي والاستعمار »[١١] .

الاسلام روح القومية العربية ، والاسلام دين عالمي وانساني تؤمن به قوميات اخرى ، فكيف يفهم فيلسوف البعث العربي العلاقة بين القومية العربية والشعوب الاخرى التي يجمعها معها الاسلام ؟ يجيب الاستاذ عفلق بطرح المسألة داخل الاسلام لا خارجه . فالقومية العربية ليست معادية للقوميات الاخرى التي يجمعها الاسلام مع العرب ، بل بالعكس ان قوة العرب قوة للمسلمين جميعاً ، لا بل لا يمكن تصور اسلام قوي بدون عرب اقوياء ، فالعرب هم الذين عليهم حمل امانة الرسالة « وطبيعي ان العرب لا يستطيعون اداء هذا الواجب إلا اذا كانوا امة قوية ناهضة ، لأن الاسلام لا يمكن ان يتمثل إلا في الامة العربية ، وفي فضائلها واخلاقها ومواهبها ، فاول واجب تفرضه انسانية الاسلام ـ اي عالميته ـ اذاً هو ان يكون العرب اقوياء



سادة في بلادهم »[١٢] .

العلاقة بين العروبة والاسلام ، بين القومية العربية والشعوب الاسلامية غير العربية علاقة تكامل وليست علاقة تصادم . وكيف يمكن ان يكون ثمة تصادم او تنافر والحال ان حب العروبة يستوجب حب الاسلام ، والارتباط العاطفي بالامة العربية يستوجب ارتباطاً مماثلًا بامة الاسلام . ويعبر الاستاذ ميشيل عن هذه القناعات باسلوبه القوي الواضح الصريح فيقول : « بدافع الحب للامة العربية احببنا الاسلام منذ السن اليافعة ، وبعد ان اقتربنا اكثر من فهم الاسلام اضحى حبنا لامتنا يتلخص في حبنا للاسلام ، وفي كون الامة العربية هي امة الاسلام » . ثم يضيف قائلًا : « وكان شيئاً طبيعياً ان يأخذ هذا الوعي ، وهذه العاطفة كل ابعادهما فندرك ما تمثله الشعوب الاسلامية من عمق وسند للامة العربية ونشعر نحوها بعاطفة القربى » ثم يؤكد ذلك قائلًا « ان ثمة حقيقة كبرى لا يتجاهلها إلا المكابرون وذوو الاغراض وهي ان علاقة الامة العربية بالاسلام علاقة خاصة حيوية ومصيرية لها وللاسلام ، فلا يمكن ان يفهم الاسلام شعب مثلما يفهمه الشعب العربي ، ولا يمكن ان يشعر احد نحو الاسلام بمثل الرابطة والمسؤولية اللتين يشعر بهما العرب نحوه » . ويوضح الاستاذ ميشيل مضمون هذه الرابطة بالقول ان علاقة غير العرب بالاسلام هي كعلاقة العرب بالقضية الفلسطينية ، اما علاقة العرب بالاسلام فهي كعلاقة الفلسطينيين بوطنهم فلسطين . يقول : « ان فلسطين قضية العرب جميعاً ، ولكنها بالنسبة الى الفلسطينيين اكثر من ذلك : انها وطن . والاسلام بهذا المعنى هو وطن الامة العربية الروحي والمادي بكل ما تحمله كلمة وطن من معاني حب الارض والاهل وحب اللغة والتاريخ » . ويلخص فيلسوف البعث العربي رأيه في الموضوع قائلًا « ولئن كان عجبي شديداً للمسلم الذي لا يحب العرب فعجبي اشد للعربي الذي لا يحب الاسلام »[١٣] .

ومع ذلك فان هناك حقيقة لا يمكن انكارها وهي ان « العصر عصر القوميات والدول القومية » وبالتالي فـ « لئن كان مفهومنا ـ يقول الاستاذ ـ للقومية ينكر التعصب العنصري ويلح على الجانب الانساني الذي اكسبه الاسلام للعروبة ويحرص على خصوصية العلاقة بين العرب والشعوب الاسلامية الاخرى ، فان هذا المفهوم يحول دون ذوبان الامة العربية في شخصية غيرها وتنازلها عن سيادتها واستقلالها لأحد تحت اية ذريعة كانت وباسم اي شعار او مبدأ » . وفي هذا الاطار يؤكد فيلسوف البعث العربي انه في الوقت الذي يقدر فيه كامل التقدير « ما تمثله الشعوب الاسلامية من عمق وسند للامة العربية » وما يربطها معها من عواطف القربى فانه لا بد من الحرص في الوقت نفسه على « الاحتفاظ بالوضوح التام في الفكر ويمشي



الحقائق الاساسية وهي ان للامة العربية شخصيتها القومية الحضارية المتميزة وحدود ارضها الواضحة وان اشتراكها في العقيدة الدينية مع غيرها من الشعوب لا يجوز ان يجر الى طمس هذه الشخصية والعدوان على هذه الارض » . ان في ذلك ضرراً ، ليس للعرب وحسب ، بل وللاسلام ايضاً ، فـ « تجارب التاريخ دلت على ان غياب معالم الشخصية العربية القومية وفقدان العرب لسيادتهم لم يكونا لصالح الامة العربية ولا في صالح الاسلام »(١٤) .

ليس هذا وحسب بل ان التاريخ يدلنا على انه لا يمكن ان ينوب احد عن العرب في حمل رسالة الاسلام ، فالاسلام عربي والقرآن عربي ، وبما ان القومية العربية روحها الاسلام فهي حاملة رسالة الاسلام الانسانية الكونية وبالتالي فهي لا يمكن ان تكون قومية ضيقة متعصبة ، لا يمكن ان ترضخ لغيرها ولا ان تكون تابعة لهم . يقول الاستاذ ميشيل : « ان الامة التي ظهرت فيها رسالة بحجم رسالة الاسلام ترفض الخنوع وترفض التبعية الفكرية والحضارية . ان لها طريقها الخاص .. الامة التي حملت الى العالم رسالة الاسلام لا يمكن ان تكون قوميتها سلبية تعصبية عدوانية ، فقوميتها هي في اساسها اخلاقية انسانية تحمل مبادىء العدل والمساواة » . ثم يضيف قائلًا : « مستوى الامة العربية هو مستوى الامم التي لها رسالات انسانية ، وانبعاث القومية العربية في هذا العصر يحمل معه بذور رسالة انسانية الى العالم . ولقد حدد التراث لهذا الانبعاث مستواه منذ البداية ، فهو على مستوى الدور الرسالي في عمقه وصدقه وشموله . وهذا المستوى يكون حافزاً وملهماً ، كما يكون مراقباً صارماً . فالامة العربية مطالبة بأن تنهض ... التاريخ يدعوها ، والعالم الحاضر يطالبها بأن تنهض لتؤدي دورها الاساسي الضروري : تصحيح سير البشرية وتقدمه »(١٥) .

— ٥ —

تلك كانت نظرة الاستاذ ميشيل الى موقع الاسلام داخل القومية العربية وموقع القومية العربية داخل الاسلام : الاسلام روح القومية العربية ، والقومية العربية حاملة رسالته الثورية الانسانية . ولكن العلاقة بين العروبة والاسلام لا تتحدد فقط بموقع كل منهما داخل الآخر او ازاءه ، بل ان لها بعداً آخر ينتقل بهذه العلاقة الى مستوى آخر ، مستوى الدولة القومية ، حيث تتخذ تلك العلاقة بين الدين والدولة وتطرح بالتالي مسألة العلمانية . وفيما يلي وجهة نظر فيلسوف البعث في هذه المسألة .

يحدد الاستاذ ميشيل هوية الدولة القومية العربية بالقول : « ان الدولة العربية التي يعمل لها البعث العربي هي التي تتيح لجميع المواطنين ان يعملوا متعاونين على تحقيق امكانيات الامة العربية في مجال الروح والمادة ، وذلك بتحقيق امكانيات كل فرد



من افرادها دونما عائق مصطنع . فالدولة اذاً تقوم على اساس اجتماعي هو القومية واساس اخلاقي هو الحرية » فهي اذاً دولة عربية تضمن لجميع افراد الامة العربية حرية المعتقد ، وهي ليست هدفاً في ذاتها ، بل يجب ان « نرى فيها مجالًا لبعث الامة وبعث قوى افرادها وتصحيح القيم وازالة الكذب والزيف والضغط من حياة المجتمع ، ودفع هذا المجتمع في طريق ايجابية مبدعة لأداء رسالة الامة الى الانسانية » ، وبالتالي فالدولة التي يعمل البعث لها هي « نقيض الالحاد والفساد وكل ما هو سلبي وهدام » بما في ذلك شعار « العلمانية » كما روِّج له في الغرب ، وكما تروِّج له بعض الفئات العربية المستوردة له . وهكذا فاذا كان البعث ينادي بنوع من العلمانية فان ذلك ليس ضداً على الدين ابداً . ان علمانية الدولة كما يفهمها فيلسوف البعث العربي « ليست إلا إمعاناً في الحرص على اتجاهها الروحي والاخلاقي ، لأنها ليست إلا إنقاذاً للروح من شوائب الضغط والقسر ووضع العراقيل المصطنعة امام يقظة الروح واستقلال الخلق وانطلاق النشاط في نفس كل عربي » . ويضيف الاستاذ ميشيل قائلًا : « وما دام الدين منبعاً فياضاً للروح فالعلمانية التي نطلبها للدولة هي التي بتحريرها الدين من ظروف السياسة وملابساتها ، تسمح له بأن ينطلق في مجاله الحر في حياة الافراد والمجتمع وبأن تبعث فيه روحه العميقة الاصيلة التي هي شرط من شروط بعث الامة »[١٦] .

ويعود الاستاذ ميشيل الى شرح موقف البعث العربي من العلمانية بتفصيل فيميز بين « اتجاهات قومية تقول بالعلمانية وتعتبر ان القومي العربي هو الذي يتجرد من معتقداته الدينية ويلتقي مع اخيه العربي على صعيد القومية العربية الحقوقية والرابطة الوطنية » وهو اتجاه يقول عنه فيلسوف البعث العربي انه من تاثير المستعمر الاجنبي ان لم يكن هو الدافع له : « ان المستعمر الاجنبي الغربي الذي كان يحتل اقطارنا لم يكن يخفي ارتياحه لهذه العلمانية ، بل كان يشجعها لأن ذلك كان يؤدي الى افقار قوميتها من دمها ومن نسغ الحياة فيها ، من اصالتها ، من روحها » ان العلمانية بهذا المعنى تعزل القومية العربية عن تاريخها وحاضرها ومستقبلها ، وتفرقها من الاسلام الذي « هو تاريخنا وهو بطولاتنا وهو لغتنا وفلسفتنا ونظرتنا الى الكون والى اشياء كثيرة يصعب حصرها وتعدادها » ، وبالتالي تضع القومية العربية في خصام مع هويتها ، ومع حاضرنا و « واقعنا الحي » الذي هو « العلاقة العضوية بين العروبة والاسلام » .

واذا كان الامر كذلك فما هو مضمون العلمانية التي يقول بها « البعث » ؟ يجيب الاستاذ ميشيل قائلًا : « العلمانية بمعنى ان الدستور والقوانين لا تميز مذهباً على آخر في القبول للوظائف او في كذا وكذا ، هذه امور بسيطة ونسلم بها ، ونحن نمشي

في هذا العصر ولا نجادل في ذلك ، اذا كانت المسألة مسألة نصوص دستورية وقانونية . ولكن البعث وضع الامور في نصابها عندما وضع الاسلام كثورة اخلاقية وفكرية واجتماعية حاسمة في تاريخ البشر ، وضعها في صلب القومية العربية » ثم يضيف قائلًا : « بهذا المعنى لا يوجد عربي غير مسلم ، هذا اذا كان العربي صادق العروبة واذا كان متجرداً من الاهواء ومتجرداً من المصالح الذاتية » . ويؤكد المعنى نفسه حينما يقول : « العروبة تعني الاسلام بهذا المعنى الرفيع الذي لا تعصب فيه ولا تمييز ولا اي شيء سلبي »[١٧] .

— ٦ —

هذا الربط بين العلمانية والقومية من جهة وبين القومية والاسلام من جهة اخرى يسد الباب امام التصور العلماني للوطنية وامام اي تصور وطني ضيق للعلمانية التصور الذي يؤدي في كلتا الحالتين الى « تشويه وخنق لانطلاقة الامة على المستوى الحضاري والانساني » من ناحيتين : فمن ناحية اولى : ان هذا التصور « بحجة التقاء جميع فئات وطوائف الشعب على صعيد الوطنية يطلب من الاكثرية الساحقة من الجماهير العربية ـ وهي مسلمة ـ ان تنسى او تغفل التراث القومي او على الاقل ان لا يكون لقاؤها به لقاء صريحاً مطلوباً وحاراً وانما لقاء له طابع الشيء الخاص ، الفئوي ، المتهم بالتعصب بدلًا من ان يكون الغذاء الروحي والفكري والنضالي للامة كلها » . ومن ناحية اخرى يؤدي هذا التصور العلماني للوطنية الى « حرمان الطوائف الاخرى من غير المسلمين من التراث العربي الذي هو تراثها وبالتالي ابعادها عن تحقيق شخصيتها الكاملة وتركها فريسة للايدي والتوجهات الاجنبية ولشتى التيارات التي تسلب جزءاً من شخصيتها وتترك الفجوة بينها وبين القسم الآخر والاكبر من بني قومها وشعبها لتتسع مع الزمن ، لتصل احياناً الى التناقض » وهذا المفهوم المشوه للعلمانية الذي يعزل الامة من تراثها وتاريخها كان يروج له الاستعماريون وادواتهم « ويريدون من ورائه ليس لقاء الجميع على صعيد الوطنية ، كما كان الادعاء ، بل نسيان الامة لتراثها ، يقابل هذا النسيان ترويج وتعميم للثقافة الغربية والحضارة الغربية ، اي انه كان هناك عملية احتيال » .

هذا الفهم القومي للعلمانية والاسلامي للقومية ينجم عنه بطبيعة الحال رفض كل من التعصب الطائفي والرجعية الدينية . والاستاذ ميشيل صريح في هذه المسألة صراحته في المسائل السابقة . انه يرفض موقف « العناصر المسيحية المتعصبة المستغلة للتفريق الطائفي ـ التي ـ تكافح الفكرة القومية بحجة ان العروبة معناها سيادة وسيطرة الاسلام كدين وتشريع وتقاليد وحضارة » . هذه الحجة واهية كاذبة بل





هي مفرضة ، ويجب « اكتشاف بطلان ما يختبىء وراء مكافحة الفكرة العربية من مصالح خاصة من رجال الدين او زعماء بعض الاقليات العنصرية او من اقطاعيين والاستعمار وراء الجميع »[١٨] . والجواب الذي يقدمه فيلسوف البعث العربي لهذه المسألة ، مسألة الاقليات ، هو « ان البعث حركة قومية تتوجه الى العرب كافة على اختلاف اديانهم ومذاهبهم ، وتقدس حرية الاعتقاد وتنظر الى الاديان نظرة مساواة في التقديس والاحترام ، ولكنها ترى الى جانب ذلك في الاسلام ناحية قومية لها مكانتها الخطيرة في تكوين التاريخ العربي والقومية العربية وتعتبر هذه الناحية وثيقة الصلة بتراث العرب الروحي وبمميزات عبقريتهم ... فالاسلام من حيث هو دين صرف مساوٍ لغيره من الاديان في الدولة العربية التي تساوي بين جميع مواطنيها وتحترم حرية معتقدهم . والاسلام من حيث هو حركة روحية امتزجت بتاريخ العرب واصطبغت بعبقريتهم واتاحت ظهور نهضتهم الكبرى له مكانة خاصة في روح القومية العربية وثقافتها وحركة انبعاثها . إلا ان هذه المكانة لا تفرض فرضاً ، بل تولد من الحرية وتستمد من قوة الروح ومن مدى اتصال العرب بروحهم وتجاوبهم الحر العميق معها وبهذا المعنى تستلهم حركة البعث العربي من الاسلام تجدده وثورته على القيم الاصطلاحية ، تستقي من نبعه فضائل الايمان والمثالية والتجرد من المنافع الشخصية والمغريات الدنيوية في سبيل نشر المبادىء التي تنقذ العرب في هذا العصر من ضعفهم وتفككهم وانخفاض مستواهم الروحي والاجتماعي »[١٩] .

وكما يرفض فيلسوف البعث العربي النزعة الطائفية ويرى في الاسلام حركة روحية امتزجت بتاريخ العرب ... يرفض بالمقابل الرجعية الدينية التي جعلت التدين يفقد « كل صلة بالروح والحوافز التي كانت مصدر الدين بالماضي والتي جعلت منه حركة احياء وتجديد وبناء فآل الى حالة من الجمود والمحافظة والجهل »[٢٠] . كما يرفض وللسبب نفسه « الدولة الدينية » : « فالدولة الدينية كانت تجربة في القرون الوسطى وتجربة انتهت بالفشل وكلفت البشرية كثيراً من الجهد ومن الدماء ومن المشاكل ، وحدثت تقريباً في اوقات متقاربة في البلاد الاسلامية وفي اوربا المسيحية[٢١] . غير ان الدولة التي يسعى البعث لاقامتها لا تعادي الدين ، بل بالعكس هي تعادي ، الالحاد ، كما رأينا : « الالحاد والفساد وكل ما هو سلبي هدام » كما ترى في الاسلام بالذات روح العروبة « العميقة الاصيلة التي هي شرط من شروط بعث الامة »[٢٢] .

واذاً « فالبعث العربي الذي هو حركة روحية ايجابية لا يمكن ان تفترق عن الدين او تصطدم معه ، ولكنه يفترق عن الجمود والنفعية والنفاق »[٢٣] انه يفهم علاقة الدين بالدولة على انها « علاقة الامة بماضيها وموقفها من مستقبلها كما انها



تعني الاسس الروحية والحقوقية التي تقوم عليها القومية العربية في المستقبل[٢٤]. وهكذا: « فالماضي الذي تحن اليه الامة وتجد فيه ثورة لها وقوة هو الزمن الذي تحققت فيه روحها، والمستقبل الذي يناضل التقدميون في سبيل بلوغه ليس إلا ذلك المستقبل الذي تستطيع فيه الروح العربية ان تتحقق من جديد، ولكن بينما يحسب البعض ان هذا السير نحو تحقق الروح العربية يجب ان يكون رجوعاً وهبوطاً، اي إيغالًا في الجمود والشكليات، يرى التقدميون انه يجب ان يكون سيراً حراً صاعداً... فالروح لا ترجع ولا تهبط ولكننا نحن الذين نتقدم نحوها ونرتقي اليها لنلتقي بها »[٢٥].

* * *

تلك كانت ايها السادة جولة سريعة في فكر الاستاذ الراحل ركزنا فيها القول على مسألة العلاقة بين العروبة والاسلام وما يرتبط بها من قضايا. ومن هذا العرض يتبين بجلاء ان الاستاذ لم يكن ينظر الى القضية نظرة مجردة، بل لقد نظر اليها في علاقاتها المتعددة الابعاد مع الواقع العربي الراهن بكل تعقيداته وتلويناته. لقد نظر اليها بفكره الشمولي الذي ابرزنا دعائمه وابعاده عند مستهل هذا العرض والفكر الشمولي فكر جامع موحد، وقضية الاستاذ ميشيل عفلق هي جمع شمل العرب وتوحيدهم، ولذلك نجده يتعامل مع العلاقة بين العروبة والاسلام، لا كمشكلة يجب ان يلتمس لها الحل، بل لقد رأى فيها بالعكس من ذلك علاقة ايجابية، جامعة موحدة: فالاسلام يجمع العرب مع ماضيهم ويعود بهم الى ما يشكل صميم هويتهم، وفي الوقت نفسه يجمعهم مع الشعوب الاخرى المسلمة، غير العربية، تماماً مثلما ان العروبة تجمع العرب، جميع العرب، مع ذاتهم وتعود بهم الى روح قوميتهم. ومن هنا يمكن القول ان القومية العربية، في فكر الاستاذ هي اطار مكاني سكاني ذو روح عالمية انسانية هي روح الاسلام، اسلام البعث والثورة والتحرر والتحرير وليس اسلام الانغلاق والانحطاط والجمود. ومن هنا كانت وحدة العرب وقوتهم شرطاً اولياً لانبعاث الاسلام وقوته ولوحدة الشعوب المؤمنة به.

وبعد فلقد كان رجال الاسلام يصنفون قديماً الى صنفين: اهل الشريعة واصحاب الحقيقة. الصنف الاول هم الفقهاء اما الصنف الثاني فهم المتصوفة. واذا كان لا بد من وضع فيلسوف البعث العربي في مكان ما في هذا التصنيف فانه يمكن القول بدون تردد انه يمثل نوعاً جديداً من « التصوف »: لقد احب الاستاذ الراحل العروبة واحب الاسلام، احبهما حب المتصوف، ولكن لا المتصوف من اجل خلاصه الشخصي، من اجل « نجاة » نفسه من آلام الدنيا ومعاناتها، بل المتصوف المتقمص لآلام امته ومعاناتها، الداعي الى نهضتها وتقدمها. ولما كان الاسلام قد شكل عقد ميلاد هذه

الامة عند ظهوره وانطلاق بعثه ، فان استئناف نهضتها لن يكون ، في نظر الاستاذ ، إلا باستعادة تجربة الميلاد تلك ، تجربة البعث المحمدي . ومن هنا كانت العلاقة بين العروبة والاسلام عنده من تلك العلاقات التي لا تقبل العزل ولا التحليل ، انها من نوع علاقة الخبر بالمبتدأ ، اللذين بدونهما معاً لن تتكون جملة مفيدة .



الهوامش

(١) ميشيل عفلق / الكتابات السياسية الكاملة ـ دار الحرية للطباعة ـ بغداد ـ ١٩٨٦ ـ (١ / ٧٥) .
(٢) المصدر السابق (١ / ١١٦) .
(٣) المصدر السابق (١ / ١١٩) .
(٤) المصدر السابق (١ / ١٢٠ ـ ١٢٧) .
(٥) المصدر السابق (١ / ١٠٧ ـ ١٠٩) .
(٦) المصدر السابق (١ / ١١٦ ـ ١١٨) .
(٧) المصدر السابق (١ / ١٤٢ ـ ١٤٤) .
(٨) المصدر السابق (١ / ١٤٧ ـ ١٤٨) .
(٩) المصدر السابق (١ / ١٤٨) .
(١٠) المصدر السابق (١ / ١٤٨ - ١٥٠) .
(١١) المصدر السابق (١ / ١٤٦) .
(١٢) المصدر السابق (١ / ١٤٦) .
(١٣) المصدر السابق (٣ / ٢٦٩) .
(١٤) المصدر السابق (٣ / ٢٦٩) .
(١٥) المصدر السابق (٣ / ١١٦) .
(١٦) المصدر السابق (١ / ١٧٥ ـ ١٧٦) .
(١٧) المصدر السابق (٣ / ٣٣ ـ ٣٤) .
(١٨) المصدر السابق (١ / ١٧٩) .
(١٩) المصدر السابق (١ / ١٧٤ ـ ١٧٥) .
(٢٠) المصدر السابق (١ / ٧٤) .
(٢١) المصد السابق (١ / ١٨٠) .
(٢٢) المصدر السابق (١ / ١٧٦) .
(٢٣) المصدر السابق (١ / ٧٤) .
(٢٤) المصدر السابق (١ / ١٦٨) .
(٢٥) المصدر السابق (١ / ١٧١) .

خصوصية العلاقة بين العروبة والاسلام موضوعاً لوعي التراث في فكر ميشيل عفلق

* بكري محمد خليل

يعد توجيه الاهتمام نحو موضوع العلاقة بين العروبة والاسلام، مقدمة من مقدمات مراجعة واقع العرب الحاضر وانجاز المشروع النهضوي القومي على قاعدة ثابتة ومتينة.

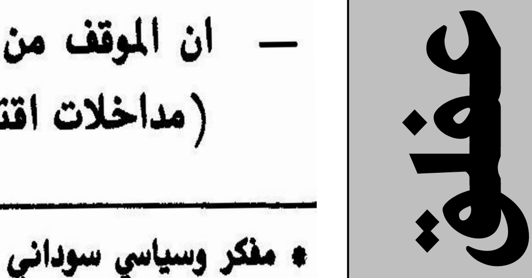
وما أولاه المفكر العربي الكبير ميشيل عفلق بهذا الخصوص تعكسه كتاباته واحاديثه المؤثرة التي مهد لها بذكرى الرسول العربي ورسخ مفاهيمها قرابة نصف قرن من العطاء الزاخر.

لقد دارت حول العلاقة بين العروبة والاسلام، آراء عديدة تشكل رصيداً وافراً في مطارحات الحياة الفكرية والثقافية العربية منذ القرن الماضي. فقد تطرق رواد النهضة الى تلك العلاقة، واماطوا اللثام عنها بدرجات متفاوتة، بين من دعا الى الجامعة الاسلامية، او شدد على الرابطة القومية[1]. لكن ما قام به ميشيل عفلق هو دفع تلك الجهود الى مستوى الوضوح، واكسابها مدلولات اعمق، فاوصلها الى نتائجها المنطقية والعملية.

فاضافاته ومساهماته، تلت اوضاعاً سياسية وثقافية مختلفة عن تلك التي شهدت اختمار ونضوج حركة البعث.

ففي الجو الفكري الذي سبق تلك المرحلة نلاحظ:

- ان الكتابات المعبرة عن ادب النهضة حول موضوع العروبة والاسلام قد تميزت بطابع سجالي محورها دحض مفهوم العثمانية السياسية وتوكيد الذات بالمقابل[2]. لكنها بدت بهذا القدر او ذاك محكومة بشعارات تلك المرحلة التي حامت حول اللا مركزية والاستقلال.
- ان الموقف من التحدي الاستعماري لم يكن قد اخذ مداه لأسباب سياسية (مداخلات اقتسام النفوذ الاجنبي)، واخرى ثقافية (واقع التخلف الطاغي)



* مفكر وسياسي سوداني



ولكنه بلور افكاراً اصلاحية اجتماعية مركزة حول مواءمة الدين للمدنية واصلاح المعتقدات الدينية والوعي ونقد السلوك والاعراف السائدة أي محاولة تصحيح نقائض المجتمع القائم والبحث في كيفية ادماج (المسلمين) في مقتضيات العصر الراهن . اذ لم يكن المشهد التاريخي قد بدا بصورته المتكاملة .

- ان الاحتكاك الواسع باساليب الحضارة (الوافدة) لم يتم الا بالتدريج ، لاسيما وان المؤسسات الثقافية الاجنبية وانظمة الحكم والقوانين وخلافها تأخذ فترة من الزمن كي تستقر وتتوطد على النحو الذي تبتغيه قوى الغزو الاستعماري ، وهكذا تأتي معظم افكار تلك المرحلة حتى نهاية الحرب العالمية الاولى في اطار جدالياتها حول العروبة والاسلام من زاوية التأليف بينهما وليس بالنظر الى ثقلهما الحضاري ودورهما النضالي في الغالب الاعم .
- مجموعة المتغيرات التي احدثت تحولًا في الموضوعات الفكرية والخطاب السياسي بعد غياب جيل الرواد الاوائل نذكر منها :

سقوط دولة الخلافة ، وتقسيم المشرق والسيطرة على وادي النيل ، دخول المخطط الصهيوني حيز التنفيذ بعد وعد بلفور ، ازدياد حدة التوتر العالمي ونشوب حربين عالميتين ، نمو فئات اجتماعية جديدة[٣] وانبثاق تعبيرات سياسية وفكرية ونشوء الحركات السياسية الدينية .

الاتصال الواعي بالتراث ، كاحد عناوين النهضة الفكرية :

تلك هي معالم الفترة التي احاطها ميشيل عفلق اذ يقول : « حركة البعث وجدت في فترة تاريخية فاصلة . بين مرحلة استنفدت اغراضها ومرحلة مضطربة قلقة ، رؤيتها للمستقبل غير واضحة ، المرحلة التي استنفدت اغراضها كانت مرحلة القومية العربية المجردة التي اقتضاها الصراع التحرري ضد الهيمنة العثمانية ، فلم تكن تستطيع رفع شعار الاسلام الذي كان هو شعار الدولة المهيمنة ، واستمرت الحال حتى بعد ان زالت الظروف التي استوجبت ذلك واستجدت ظروف هيمنة الاستعمار الغربي على الاقطار العربية هذه الظروف هي التي اعادت الامور الى نصابها ، حين اعادت الاسلام الى العروبة ، الى القومية العربية لضرورة المواجهة الحضارية مع الاستعمار الغربي »[٤] .

في هذه الحقبة بالذات نشأ التيار الفكري الجديد الذي شق ميشيل عفلق مجراه بعقليته الثاقبة ورؤيته القومية الحضارية العميقة لمستقبل الامة . تلك الرؤية التي ساعدت على « الكشف عن خصوصية العلاقة بين العروبة والاسلام »[٥] بالنظر الى العروبة « كتيار تقدمي وحركة تاريخية » .



جذور هذه النظرة تمتد للتجربة العربية وعاءً للحوادث الكبرى ومصدراً لا غنى عنه في استشراف الوضع القومي الراهن الذي يراه ميشيل عفلق مرحلة تغيير وتحولات : « الامة العربية تعيش مرحلة ثورية من قبل ظهور حركتنا ، ولكن هذه الحركة حاولت ان تعطي الثورة العربية صيغتها الموحدة الشاملة »[٦] . وبسبر اغوارها يضع ميشيل عفلق يده على نواة تصورها « الموقف من التراث القومي اي من الاسلام وعلاقته الوثيقة بمرحلة الانبعاث القومي المعاصر معبراً عن احدى الاختيارات الكبرى لفكر البعث الذي قام منذ البدء على تصور ثوري للتراث »[٧] .

وعبرها تبدو الحاجة الى بلوغ الاغراض والدوافع التي تندرج تحت عنوان النهضة ووفق المنظور العروبي الاسلامي الذي شغل ميشيل عفلق . ولخص جانباً من معاناته الفكرية لكي « نحل اسرار التراث ويصبح مفهوماً ويصبح متفاعلًا مع حياتنا ونصبح مجددين لهذا التراث ومتابعين لقيمه ومعانيه »[٨] .

التراث بهذا الفهم ليس غائراً في التاريخ او في متون الكتب او حالة منفصلة ، وانما شيء حي في حياة الجماهير « ليس تاريخاً تقرؤه وانما تمارسه وتحياه ، عقيدتها الدينية هي هذا التراث الضخم »[٩] .

اغراض انبعاثية لمفهوم الخصوصية العربية الاسلامية :

بالرغم مما يمثله التراث من حجم وما يشكله في الوجدان والعقل ، فان (العودة الى التراث) لها معنى خاص لا يقف في حدود الاقبال عليه كأحد معطيات الواقع العربي واعمدته ، فالعروبة هي نوع من الاتصال الواعي ذي الهادفية ، سواء بالنسبة للامة او ثورتها . ويعلل ميشيل عفلق اهمية ذلك بعنصرين :

- بالعودة الى التراث تشعر الامة بأنها (امة واحدة وان لها رسالة لايمكن ان ترضى عنها بديلًا)[١٠] أي تكشف من خلالها عن طريق الخلود فتسعى لبلوغه .
- وبقراءة التراث تدرك الثورة العربية نسبيتها فتصبو للتجدد والاكتمال وتأخذ طاقتها من (تجربة الامة العربية من خلال الاسلام الذي فيها شيء مطلق)[١١] .

وعبر هذا الوضوح يستهدف ميشيل عفلق تحقيق اغراض انبعاثية على مستوى :

- تأصيل العلاقة بين العروبة والاسلام ، فهي وان كانت قائمة بالفعل ، نجد آثار عهد الانحطاط وقد غطت على فهمها ، والتعرف على ما تشكله من قوة في عالم جديد لم ينج من تمزقاته العرب والمسلمون على حد سواء . فهناك حاجة لتنبيه القوى الشعورية بهذه الرابطة ، وارساء اسس تاريخية للمثاقفة بدلًا من قطيعة ما هو اسلامي لما هو عربي .



— تحديد مقومات الاستمرارية والتجدد في الشخصية العربية واعادة بناء اللقاء الحضاري العربي الاسلامي من منطلق التلازم والتمايز بين الحقيقتين : المفهوم الحضاري للاسلام والمفهوم الحضاري للعروبة ، في عصر قيام الدولة القومية الاسلامية ، وتعرض العروبة للتعريض والتشكيك في هويتها الانسانية .

— طرح الثقة في الحضارة الاسلامية العربية ، ونقد روح الاستسلام والتبعية وتعميق الوعي بالاستقلال الحضاري كعروة وثقى ومقوم حصانة امام تحديات تمركز الحضارة العالمية الحديثة وقدراتها على الالتفاف والتذويب .

ما حققه ميشيل عفلق من تلاحم المفاهيم على صعيد بناء هذا الوعي العلائقي يكاد يضع معالجة حاسمة للصراع التراثي الذي يشير اليه جوزيف شاخت بأن البحث في التوازن بين (المعتقدات ، والعادات العربية) هي السمة المميزة للحياة الفكرية لدى المسلمين منذ مدة طويلة ، وقد استبدل في العصر الحديث بالبحث عن التوازن بين قيم القومية (او اية ايديولوجية سياسية اخرى) وقيم الاسلام(١٢) . وبالمفاعلة بين المكونات الاساسية لواقعنا الحضاري ، استطاع ميشيل عفلق ان يحل التناقض الظاهري بين صورة العروبة وصورة الاسلام اذ « كان التفكير السطحي قبل ظهور حركتنا يوحي او يوهم بوجود تضاد بين القومية وبين هذا التراث الروحي » .

خصائص منهجية في الكشف عن خصوصيات العروبة والاسلام :

المنهج العام الذي اتبعه ميشيل عفلق هو فحص هذه الرابطة المتبادلة بين العروبة والاسلام والتعرف على الخواص الجوهرية المشتركة التي تجعل من كليهما ملتقياً بالآخر. هذا المنهج يتصف بالتالي :

١ - التزام خط الدراسة الحضارية الموحدة لتاريخ العرب القديم والحديث مستهدفاً رسم المعالم الاساسية وكشف محركات الواقع العربي . في ذلك يحدد المقومات المشتركة بين الاسلام والعروبة بما تعنيه من القيم والعلاقات والانماط الثابتة والمعتقدات وقضية الخلود والمصير الانساني(١٣) ويعنى برصد ظواهر الحياة العربية في اهم حلقاتها ، خلافاً للدراسة التاريخية المنظمة التي تجعل الوقائع على تنوعها وتباعدها موضوعاً لها .

٢ - توضيح العلاقة المذكورة على اساس من التضمن المتبادل والتواصل الذي تنكشف فيه الماهيات : للعروبة في الاسلام ، والاسلام في العروبة ، (فحيث يكون الاسلام تكون العروبة وعبقريتها ، اذ لايمكن فصل احدهما عن الاخر)(١٤) .

وعن طريق هذا التصور العضوي لايبقى اثر لاية ازدواجية او تضاد بينهما حيث يتجاوز فكرة الخوض في الاسبقية بمعناها الوجودي او الاعتباري لأي



منهما ، وينظر للاسلام كجوهر للعروبة وكبعد قومي اخلاقي وانساني[١٥] . وكهوية وطبيعة وارض ولغة وتاريخ وكشعب في حالة مخاض وثورة[١٦] .

٣ - وضع تكامل العروبة والاسلام في سياق تاريخي يعلل الدور الوحدوي للاسلام في تطور البنية القومية كونه دين توحيد قد ادى الى الاصلاح والوحدة عبر (الحل الديني) بينما العروبة الحديثة في حاجة الى (حل وحدوي) ، لانها تعاني من التجزئة السياسية والتبعية[١٧] .

٤ - نقطة الارتكاز وخط الافق الذي تلتقي فيه العروبة بالاسلام هي الصفة العالمية للاسلام والانسانية للعروبة . ففي مدياتها الشمولية والمطلقة يتم استشراف الثورة وبعث الوجود المتجاوز لكل من القومية والدين ، وتحقيق الرسالة التي تفلسف الدور الحضاري للعرب (يرى ليونارد بايندر Leonard Binder احد المشتغلين بالفكر السياسي في المنطقة ان ميشيل عفلق يعتقد بأن الاسلام هو الصورة العربية لبعض المفاهيم السننية العالمية الشمول والسامية التي يطلق عليها اسم المبادىء الانسانية)[١٨] .

٥ - المنهجية التي استخدمها ميشيل عفلق استهدفت بناء افكار متماسكة بوعي الانبعاث القومي واستلهام التراث ، فهو يخطو خطوات واثقة نحو نظام معرفة حضارية تجمع بين المضمون الايديولوجي للتراث وبين تفسير نظري تاريخي لمقومات الشخصية العربية ومميزاتها لكي تكون الامة العربية اكثر استعداداً لاستقبال الماضي واعادة استيعابه والانطلاق نحو المستقبل .

٦ - البعد الايديولوجي الذي اشرنا اليه ينطوي على تقرير الارتباط الحميم بين العروبة والاسلام ، كقوة دافعة ومحور هام للحركة التاريخية وانتظام واستجماع القوة النزوعية الحضارية ودفعها لاثبات الذات ووضع مساهمات العرب الى جانب الانسانية ككل .

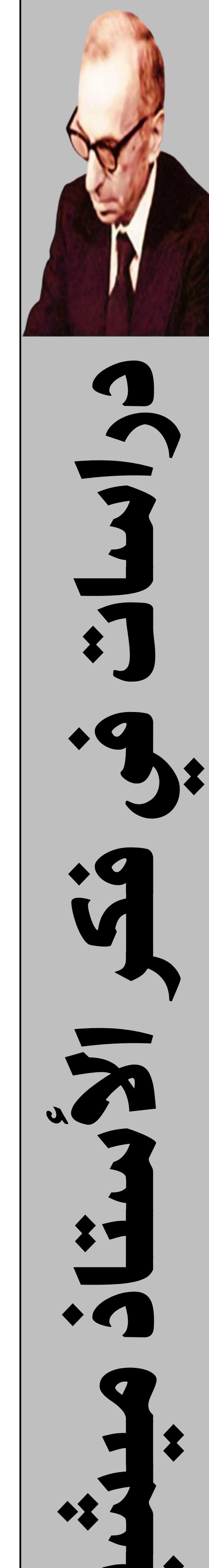
توظيف التراث المتجدد لغايات التجدد :

بموجب هذه المطالب يتم توظيف التراث ووضعه في خدمة الحاضر «نحن ننظر الى الماضي لنفيد منه لا لنفيده لانه بغنى عنا ، ولنعين الاسس التي يجب ان تكون مطلقة ثابتة»[١٩] .

ويأخذ موضوع (العروبة والاسلام) وضعه الاستثنائي في التراث كحالة متجددة وواقع حي (وطاقة قابلة للتجدد) فكلما تعمق النضال في الحاضر (تعمق فهمنا لتراثنا) (لان التراث كان ايضا في الماضي نضالا)[٢٠] .

على هذا الاساس ، فالتراث يخرج في اطار التجربة المعاصرة لاغنائها بمادة





فكرية في مستوى القضية القومية ، وهنا يصبح :

- حافزاً اخلاقياً Moral Stimuli يثير مكامن القوة ويحرك افكار الواجب والهام العرب باشراقات تاريخهم ويدعوهم للانقلاب على واقعهم .
- قضية حية في ثنايا العقل العربي ، موجودة فيها بالقوة وقابلة على ان تتحول بالفعل الى بؤرة لاستبصار الصراع الحضاري بمدياته ومستلزماته .
- مركز ثقل الخبرة الانسانية للعرب ، والعلامة الفارقة للشخصية والثقافة القومية والتي تمثل سلاح الدفاع والتفاعل الحضاري في وقت واحد .

فما قام به ميشيل عفلق هو دعوة لتنقيب مكنون التراث الحي وتقديم جديد لاسلامية العروبة ، وعروبة الاسلام ، بادراك وتحسس عميق لقوة الجذب المركزية التي تمثلها الحلقات المضيئة في تاريخ العرب بصفاء رؤية لا تحدها الهالة التي احاطت بالايام الخالية .

تبقى المسألة الرئيسية هي استحضار روح الماضي عن طريق قراءة التراث بعيون المعاصرة ، وبكونه قوة توحيد هائلة (التراث وحده يعطي الامة شعوراً بالوحدة كما يعطيها حق الطموح الى حمل الرسالة)[٢١] .

ومع ذلك ، فأن مسألة التراث محفوفة بالمصاعب لانه ليس حقيقة تامة ونهائية ومتفقاً عليها ، فهو موضوع خلافي في الكثير من تفاصيله على الصعيد التاريخي ، وقضية شائكة لعلاقتها باشكالية الابداع والاتباع في الفكر العربي المعاصر .

ولعل هذا هو السر في التوضيح المباشر الذي افاد به ميشيل عفلق حول امر التراث :

(فهمنا للتراث غير تراثي ، اي اننا اكتشفنا التراث ولم نستلمه بالتقليد) ، تلك البادئة التي تحمل الموقف النقدي للحصيلة التراثية على ضخامتها وتنوعها كمشكلة نظرية تدخل في صلب الصعود والانبعاث القومي ، فلا يجد في التراث العربي موضعاً شفافاً في اجلاء السمات الحضارية اكثر من الاسلام ، فليعده معادلًا للتراث بمعناه الواسع والعريض ، الذي يبرز الاسلام حقيقة كلية ومفهوماً جامعاً فوق التفاصيل : الاسلام الحضاري بشموليته ، (نقصد بالتراث بشكل رئيسي : الاسلام : الاسلام كحضارة ولكن ايضاً الاسلام كدين ومثل ورسالة انسانية)[٢٢] .

غير ان التراث يبقى في اطاره التاريخي والثقافي تراثاً قومياً لابد من التذكير به حتى لايتم تجريده وتفريغه من مضامينه (اذا كان للتراث صفة قومية فأن الدين شيء انساني لا ينحصر بالعرب)[٢٣] .

الصفة العالمية للاسلام اصل من اصول النظرة الى مركزه في نطاقه العربي ، ولكنها ايضاً مبثوثة في الخصوصية العربية الاسلامية التي هي بمثابة البصمات

الممتنعة عن التقليد :

١ - الاسلام روح العروبة ، ومكون شخصية الامة العربية ، ومع ظهوره دخلت القومية العربية مرحلة جديدة ناضجة وحاسمة حتى يمكن القول بأنها خلقت مع هذا الحدث التاريخي العظيم[٢٤] .

٢ - ان العرب قد انفردوا بكون نهضتهم الاولى التي كونتهم كأمة اقترنت برسالة دينية لها خصائصها المعروفة[٢٥] .

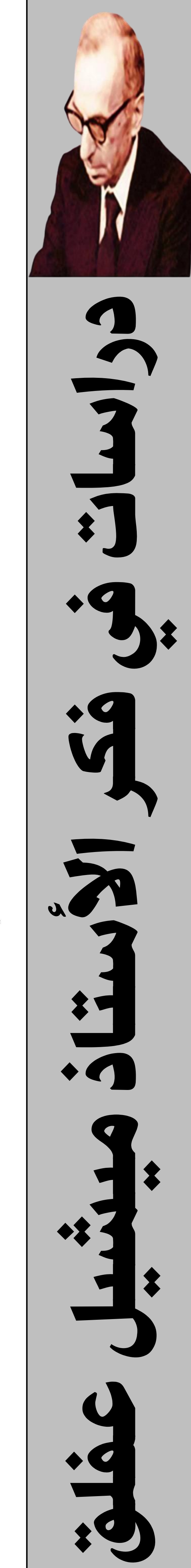
٣ - الاسلام بالنسبة للعرب ليس عقيدة اخروية فحسب ولا هو اخلاق مجردة ، بل هو أجلى مفصح عن شعورهم الكوني ، وهو فوق ذلك كله اروع صورة للغتهم وآدابهم واضخم قطعة من تاريخهم القومي ، فعلاقة العروبة بالاسلام ليست كعلاقة أي دين بأية قومية[٢٦] .

الخلاصات التي اتينا على نماذج منها تشخيص فائق الدقة لطبيعة النسيج الحضاري والروابط التي لاتنفصم عراها بين الاسلام والعروبة ، حتى ان ميشيل عفلق يرى ان اوربا تخاف على نفسها من الاسلام لانها تعلم ان قوة الاسلام التي كانت في الماضي معبرة عن قوة العرب ، قد بعثت فظهرت بمظهر جديد هو القومية العربية[٢٧] .

(يذكر منتغمري وات ، ان هاميلتون جيب ، قد تحدث في جامعة شيكاغو عام ١٩٤٥ عن اخطار النزوع القومي عن الاسلام وفقدان جذوره العميقة في نفس المسلم ، فيعلق على ذلك بأن ما جرى في ذلك الحين مدعاة للتساؤل ماذا اذا كانت القومية قد تحولت الى وعي سياسي بالتعاضد الاسلامي بعد ان كانت هراوة نافعة في طرد الاوربيين[٢٨] .

ما يمكن ان يقال في تعديد مناقب مساهمة ميشيل عفلق في موضوع خصوصية العلاقة بين الاسلام والعروبة ، هو انها سفر ابداعي مجيد لاستدعاء التاريخ وصقل الوعي وتجديد المعرفة الحضارية وبثها في العقل العربي المعاصر لانتزاع الشخصية العربية واستعادتها من اغترابها عن جوهرها .

كيف لا وقد شاد مؤسس البعث نظامه الفكري على قاعدة الايمان بالقوة التخليقية الكامنة في الامة العربية ، فعن طريق التداعي العميق للمعاني التراثية تكتشف الامة قدراتها وتحقق انبعاثها الذاتي . انه نوع من التوليد المعنوي والاستبطان والتأمل الباطني في جوهر الامة الفرد : رابطة العروبة والاسلام اعم كل خصوصية واكثرها تعبيراً عن انتسابنا الحضاري[٢٩] .



الهوامش :

(١) راجع جورج انطونيوس : يقظة العرب (تاريخ حركة العرب القومية) ترجمة ناصرالدين الاسد واحسان عباس/ الطبعة الخامسة فبراير ١٩٧٨ ، دار العلم للملايين ، بيروت ص ١٦٨-١٧٢ .
(٢) انظر : نوبير تابيرو : الكواكبي المفكر الثائر/ ترجمة علي سلامة ، دار الاداب ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٨ ، ص ١٦٦-١٧٨ .
(٣) راجع د. عبدالعزيز الدوري : التكوين التاريخي للامة العربية (دراسة في الهوية والوعي) دار المستقبل العربي ، القاهرة ١٩٨٥ ، الفصول ٥-٨ .
(٤) ميشيل عفلق : في سبيل البعث : الكتابات السياسية الكاملة ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٦ ، (٣ / ٢٧٠) .
(٥) المصدر السابق (٣/٢٦٩) .
(٦) في سبيل البعث : اصدار مكتب الثقافة والاعلام القومي ص ٤٩ .
(٧) المصدر السابق (٣/١٢١) .
(٨) المصدر السابق ص٤٣ - ٤٤ .
(٩) المصدر السابق ص ٤٣ .
(١٠) المصدر السابق ص٦٤ .
(١١) المصدر السابق ص٦٥ .
(١٢) جوزيف شاخت وبوزورث : تراث الاسلام : (الجزء الاول) الطبعة الثانية سلسلة عالم المعرفة -الكويت : ترجمة زهير السمهوري وآخرين ص ١٨-١٩ .
(١٣) لمزيد من التوضيح : راجع : د. احمد ابراهيم الشريف : دراسات في الحضارة الاسلامية - دار الفكر العربي ١٩٧٦ ، ص ١١ .
(١٤) ميشيل عفلق : الكتابات السياسية الكاملة ، الجزء الثالث ، المصدر السابق ، ص ١٦٣ .
(١٥) المصدر السابق ، ص ١٨١ .
(١٦) المصدر السابق ، ص ٢٢٢ .
(١٧) راجع : الكتابات الكاملة ، الجزء الاول ، ص ٢٨٦ .
(١٨) ليونارد بايندر / الثورة العقائدية في الشرق الأوسط ، تعريب خيري حماد - دار القلم ، ١٩٦٦ ، ص ٢٥٥ .
(١٩) الكتابات السياسية الكاملة ، الجزء الاول ، المصدر السابق ، ص ١٠٧ .
(٢٠) مجلة الثورة العربية ، العدد السابع ، تموز يوليو ١٩٨١ .
(٢١) الكتابات السياسية الكاملة ، الجزء الثالث ،ص ٦٤ .
(٢٢) مجلة الثورة العربية ، عدد تموز يوليو ١٩٨١ ، المصدر السابق .
(٢٣) الكتابات السياسية الكاملة ، الجزء الثالث ، ص ٦٦ .
(٢٤) المصدر السابق ، ص ١٦٣ .
(٢٥) المصدر السابق ، ص ٧١ .
(٢٦) الكتابات السياسية الكاملة ، الجزء الاول ، المصدر السابق ، ص ١٤٨ .
(٢٧) المصدر السابق ، ص ١٤٧ - ١٤٨ .
(٢٨) راجع منتغمري وات ، الفكر السياسي الاسلامي - ترجمة صبحي حديدي ، دار الحداثة ،



بيروت ، الطبعة الاولى ، ص ٦٠ .

(٢٩) يذكر سعيد بن سعيد في كتابه : الايديولوجيا والحداثة (قراءة في الفكر العربي المعاصر) المركز الثقافي العربي ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٧ ، ص ١٠٧ - ١٠٩ :

« ان العقيدة البعثية كلها تقوم على محاولة التنظير لتلك الخصوصية ولا يجانبنا الصواب اذا نحن قلنا بان البحث في خصوصية الامة العربية يصح اعتماده كعنوان فرعي لكتاب في سبيل البعث » .



العروبة والاسلام
في فكر الاستاذ ميشيل عفلق

* د. ابراهيم خليل أحمد

١ - مقدمة ..

قبل بضع سنوات عقد في تل ابيب (باسرائيل) مؤتمر كان الهدف منه الاجابة على سؤال محدد وهو : هل يمكن استخدام السلام كمدخل لخلق حالة من التفتت في المجتمع العربي المعاصر ؟..(١)

ولقد جرت المحاولات وفي أكثر من مكان في الوطن العربي وفي العالم وعلى أكثر من صعيد لاستخدام العلاقة بين العروبة والاسلام كوسيلة لاضعاف كل منهما بشكل أو بآخر وفي أكثر من نموذج واحد . فهل يا ترى يوجد مثل هذا التناقض .. بين العروبة والاسلام ؟ وهل تجاوز المفكرون العرب والرواد الأوائل لحركة النهضة العربية الحديثة منهم على وجه الخصوص ، مسألة الترابط الحي بين العروبة والاسلام ؟ وما هو موقف الرفيق القائد المؤسس الاستاذ المرحوم ميشيل عفلق من هذه المسألة ؟(٢) وما هو دوره في توضيح المفاهيم التي قامت عليها نظرية القومية العربية والكشف عن العلاقة بين العروبة والاسلام كونهما ركيزتين أساسيتين ومحركين تاريخيين للانبعاث العربي المعاصر ؟

٢ - موقف الرواد الأوائل من مسألة الترابط بين العروبة والاسلام ..

لقد ظهرت مسألة العلاقة بين الاسلام والعروبة ولأول مرة في اطار غير دقيق خلال الفترة التي سعى فيها الغرب الاستعماري لتمزيق الدولة العثمانية (وكان الوطن العربي يخضع في معظمه لها) واقامة دول قومية فيه مستغلًا في ذلك حالة النهوض القومي التحرري الذي كانت تشهده المنطقة آنذاك .. وللأسف فقد اندفعت بعض القيادات القومية العربية غير الاسلامية في هذا الاتجاه فأبرزت العلاقة بين العروبة والاسلام ، وكأنما هناك تعارض كبير بينهما .

---

* جامعة الموصل « كلية التربية »



ولكن هل سكت المفكرون العرب والرواد منهم خاصة على هذا الأمر؟ انهم لم يسكتوا وانما بدأوا يعالجون في كتاباتهم مسألة الترابط بين العروبة والاسلام وذلك في مجال تعرضهم للاجابة على سؤال يتعلق بـ (من نحن ؟) وهكذا كان مفهوم (بعث الاسلام) و (بعث العروبة) متكاملين لدى اولئك الرواد[٣].

وبالرغم من ان التاريخ الفكري العربي الحديث يضم محاولات أصيلة في مجال دراسة مسألة الترابط بين العروبة والاسلام .. فان العديد من الكتّاب والمؤرخين الغربيين تجاهلوا هذه المحاولات وتعمدوا تشويهها وطمسها وذلك من خلال تركيزهم على انها تعبر عن فكر اسلامي محض . ويبدو ان ذلك يرجع في معظمه الى خطأ ما يمكن أن نسميه بـ (النظرة الغربية للاسلام) من ناحية وللعروبة من ناحية اخرى ، وهكذا فان معظم الكتابات الغربية وقعت في خطأ التحيز ضد الاسلام فنظرت لتطور الفكر العربي الحديث على انه « خروج من دائرة الاسلام الى دائرة أكثر وضعية وواقعية تلك هي العروبة »[٤].

لقد أرّخ البعض خطأً بداية الحركة العربية القومية بنهاية القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين حينما اندلعت الثورة العربية سنة ١٩١٦ ضد العثمانيين وفسرت الثورة على انها اعلان عن انفصال العرب عن الاسلام .. وكأن العثمانيين هم الذين يمثلون الاسلام ..كما اصبح معيار عروبة أي مفكر في نظر هؤلاء المغرضين يقاس بمقدار بعده عن الاطار الفكري الاسلامي واقترابه من التفكير الذي قوامه العقل والحضارة الغربية[٥].

وورقتنا هذه تتعرض على نحو مقتضب من الناحية التاريخية الفكرية لمسألة الترابط بين العروبة والاسلام من خلال الاشارة الى آراء بعض المفكرين العرب ابتداءً من عبدالرحمن الكواكبي وانتهاءً بميشيل عفلق .

لقد كان المفكر العربي عبدالرحمن الكواكبي (١٨٥٤ - ١٩٠٢) من أبرز الذين تعرضوا لهذه المسألة وأعماله المعروفة ، وخاصة كتاباه « أم القرى » و « طبائع الاستبداد » ، أسهمت في اثراء الفكر العربي الحديث .. فالكواكبي لم يكن مفكراً دينياً صرفاً وانما كان مفكراً اسلامياً عروبياً ، وكان صاحب وجهة نظر واضحة في مسألة الترابط بين العروبة والاسلام . فقد وعى هذه المسألة وعبّر عنها اجود تعبير[٦] وذلك من خلال تمييزه بين قضية (العروبة) وفكرة (الخلافة) التي استغلها العثمانيون وحكموا بموجبها الوطن العربي طوال أربعة قرون . وقد ذهب الكواكبي الى ربط النهضة الاسلامية بدور قيادي للعرب وذلك من خلال النضال وانتزاع الحكم من العثمانيين واسقاط الأساس الفكري الذي قام عليه حكمهم . والى شيء من هذا القبيل اشار الكواكبي الى ان العرب هم أنسب الأقوام لأن يكونوا مرجعاً في الدين وقدوة للمسلمين .

وأضاف ان الاسلام لا يزال بين العرب ... حنيفاً سلفياً بعيداً عن التشديد والتشويش[٧].

ويقول الكواكبي : « كما ان ادارة الدين وادارة الملك لم تتحدا في الاسلام تماماً الا في عهود الخلفاء الراشدين وعهد عمر بن عبدالعزيز فقط (رضي الله عنهم جميعاً) واتحدتا نوعاً ما في الامويين والعباسيين ثم افترقت الخلافة عن الملك » ومعنى هذا ان الكواكبي يرى انه لا يوجد في نظام الحكم (الاسلامي) نفوذ ديني مطلقاً في غير مسائل اقامة الدين[٨].

والكواكبي بذلك يؤكد الترابط الروحي الصميمي بين العروبة والاسلام لأن الاسلام ظهر في جزيرة العرب وكان العرب مادته ، واستمر كذلك الى ان طرأت عليه العناصر الدخيلة فافترق الاسلام أو الدين المتمثل بـ(الخلافة) عن الملك[٩].

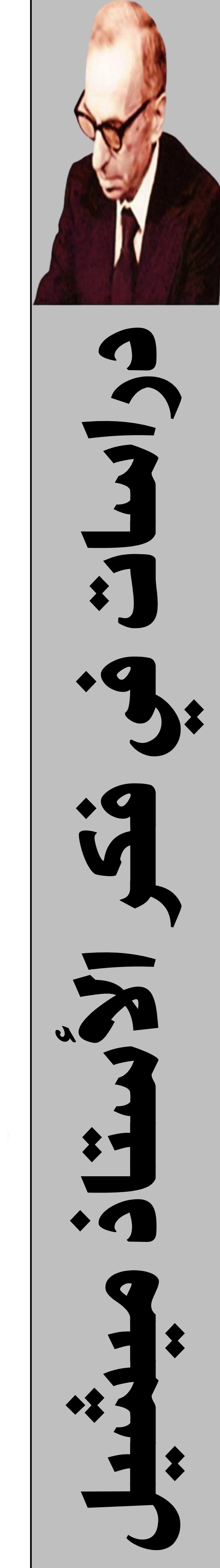
لقد دعا الكواكبي الى مشاركة العرب كلهم في بناء الكيان العربي الجديد وبعث نهضتهم (مسلمين وغير مسلمين) . كما أكد على ضرورة ادارة الحكم وفق أساليب ومبادىء تقوم على (الوطنية) والقومية .. يقول : (نجتمع على كلمة سواء هي فلتحيا الأمة .. فليحيا الوطن)[١٠].

وينبغي هنا أن نشير الى ان الكواكبي يفصل ويفرق بين مفهومي (الاسلام) و (الاسلامية) فالأول هو (الدين) والثاني هو (نظام الحكم) الذي يطبقه المسلمون في حياتهم .. ويتحدث الكواكبي عن الأمم التي امتلكت مفاتيح حاضرها ومستقبلها بعد أن وضعت حداً لاولئك الذين يتاجرون بالدين ولم يكن الكواكبي يرى محاولات استغلال الدين آتية فقط من قبل سلاطين آل عثمان .. تحت رايات الاسلام بل وآتية كذلك من اوربا الساعية لتمزيق الوطن العربي واحتلاله .

وبدون شك ، فان آراء الكواكبي الناضجة وأفكاره المتميزة وضعت حداً لدعاوى اولئك الذين حرصوا على وضع (العروبة) وكأنها نقيض (الاسلام) واولئك الذين يرون في (العقيدة الدينية) تخطياً والغاءً (للروابط القومية)[١١].

وجاء ممثلو الاتجاه القومي التاريخي ومنهم الشيخ ناصيف اليازجي (١٨٠٠ - ١٨٧١) وبطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣) ليستنهضا في كتاباتهما ودروسهما همم العرب ، عن طريق التذكير بماضيهم الحضاري وبعظمتهم الماضية ، وعملا على احياء وعي العرب لتاريخهم .. و (تاريخ العرب) آنذاك لم يكن في اطاره الواسع الا (تاريخ الاسلام)[١٢].

وكان قاسم امين (١٨٦٥ - ١٩٠٨) من قادة الاتجاه الاجتماعي التقدمي يرى ان التربية الحديثة تقوم على أساسين مهمين هما : الأساس الديني والأساس القومي[١٣].



واذا كان نجيب عازوري (١٨٨١ - ١٩١٦) صاحب كتاب (يقظة الأمة العربية) الذي صدر بباريس سنة ١٩٠٥ يعد المفكر العربي الوحيد الذي دعا بوضوح الى (بناء دولة عربية قومية) تضم المسلمين والمسيحيين فانه اصرّ على أن يكون (الحجاز) مقراً للدولة المنشودة . وقال ان المشاكل الدينية التي شهدتها الولايات العربية آنذاك ، انما هي في الحقيقة مشاكل سياسية تثيرها قوى اجنبية لمصلحتها ... وقال ان المسيحيين العرب لا يقلون عروبة عن اخوانهم المسلمين[١٤].

اما المفكر العربي ساطع الحصري (١٨٨٠ - ١٩٦٨) فيؤكد بأن علاقة العروبة بالاسلام ليست كعلاقة أي دين بقومية اخرى ، ويقول بأن دراسة تاريخ الأمة العربية ، دراسة علمية مستندة على الحقائق والأحداث بقطع النظر عن الاعتبارات الاعتقادية تؤكد بأن تاريخ العرب قد دخل في طور جديد مهم بظهور الاسلام ، وان الحركة الاسلامية كانت واقعة تاريخية مهمة أوجدت انقلاباً خطيراً في أحوال العرب[١٥] وقال (ان القرآن الكريم وقف سداً منيعاً أمام الأخطار الجسيمة التي كانت تهدد القومية العربية بعدما طرأ على الوطن العربي من التفكك السياسي والجمود الفكري والاجتماعي والانحطاط الثقافي وهو الذي حفظ لها وحدتها وحيوتها ويسر لها امكانات الانبعاث والازدهار في عصر النهضة)[١٦].

اما عن علاقة (القومية العربية) بـ (الدين) في اطار حركة النهضة العربية الحديثة فان الحصري انتقد الذين يتهمون القوميين العرب باللادينية وقال : انهم يرتكبون خطأً كبيراً في حق القومية العربية ، فالقومية العربية (علمانية) ولكنها ليست (لا دينية)[١٧].

لم يكن في تاريخ العرب الحديث حتى اواخر العشرينات ثمة ما يشير الى وجود تناقض بين مفهومي (بعث الاسلام) و (بعث العروبة) . ومما يلاحظ ان حسن البنا (١٩٠٦ - ١٩٤٩) مرشد الاخوان المسلمين في مصر نفسه كان يعد الطريق للوحدة الاسلامية هو الطريق الى الوحدة العربية ولم يكن يجد تعارضاً بين (الدائرة الاسلامية العربية والوطنية الاسلامية)[١٨].

وبعد ان وجدت بعض المفاهيم والنظريات الغربية عن واقع الأمة العربية طريقها الى الوطن العربي في الثلاثينيات ، ظهرت بعض التيارات الفكرية المتعارضة في طريقة فهمها للعروبة والاسلام . لذلك تذرع التيار الديني (السلفي) بردّ الفعل على تلك المفاهيم والنظريات فأصبح يركز على (الطابع العالمي للاسلام) وعلى (الفكرة الاسلامية) أي الايديولوجية الدينية التي تعدّ ان شريعة الاسلام صالحة لكل زمان ومكان . والاسلام دين ودولة .. والفكرة الاسلامية موجهة للناس أجمعين .. لذلك فان (القومية) تتعارض مع (الاسلام) بطابعه العالمي[١٩].



وفي فترة المد القومي العربي في الخمسينات ، ظهرت مفاهيم مغلوطة أساسها الاستقلال الكامل في العلاقة بين العروبة والاسلام . وبالشكل الذي أضعف جوهر العلاقة بينهما .. فقد ذهبت بعض تيارات الاتجاه القومي الى المبالغة في التركيز على العامل القومي ، الى درجة عدّ معها الاستاذ زكي الارسوزي (١٨٩٠ - ١٩٦٨) المرحلة التي سبقت ظهور الاسلام بمثابة العصر الذهبي وذلك على النقيض مما كان يطلق عليها التيار الديني اسم (الجاهلية) .. ولم يكن (الدين) لدى ممثلي الاتجاه القومي سوى تعبير مضاف عن عبقرية (الأمة العربية) .. وبعبارة اخرى فان (الظاهرة الروحية) ليست سوى جزء من محتوى (الظاهرة القومية العربية) وهو الجزء المعبر عن انسانيتها[٢٠].

٣ - العروبة والاسلام في فكر الاستاذ ميشيل عفلق :

لذلك كله تصدى الرفيق القائد المؤسس الاستاذ ميشيل عفلق (١٩١٠ - ١٩٨٩) لهذه المفاهيم وبدأ باعادة صياغة ملائمة للعصر لتجربة الاسلام من خلال توضيح مسألة الترابط بين العروبة والاسلام . وكان لتركيز الاستاذ ميشيل عفلق على دراسة (تاريخ الديانات) و (تاريخ الثورات) أثر كبير في قدرته على وضع مسألة الترابط بين العروبة والاسلام في سياقها المنطقي الصحيح[٢١] ، وكان في كل مرحلة من مراحل حياته ، يجد ان القوى الصهيونية أو الاستعمارية أو الرجعية أو الشعوبية تبدأ بتخريب العلاقة بين العروبة والاسلام ، فانه يلجأ الى طرح المسألة بشكل تأخذ جدلية الواقع المعيش بالحسبان . فمنذ أول الاربعينيات نجد في نصوص كتابه (في سبيل البعث) محاولة لتطبيق المنهج العلمي الجدلي التاريخي على العلاقة بين القومية العربية والدين[٢٢] فهو في نص يرجع الى سنة ١٩٤١ يدعو الى نقل هذه العلاقة من صيغ البحث النظري العام المجرد الى صيغة البحث الميداني المباشر ، فهو يقول في هذا الصدد : « ان القومية العربية عبّرت عن نفسها في التاريخ من خلال العروبة والاسلام » . ويضيف : « لنهجر اللفظ قليلًا ولنسمِ الاشياء بأسمائها وصفاتها المميزة فنستبدل بالقومية (العروبة) وبالدين (الاسلام) تظهر لنا المسألة تحت ضوء جديد »[٢٣].

وبعد (٣٣) سنة عاد الاستاذ ميشيل عفلق ليؤكد في جواب على سؤال يتعلق بكيفية التوفيق بين الموقف الايجابي من الدين وعلمانية البعث فيقول : « ان الاسلام هو تاريخنا ، وهو بطولاتنا وهو لغتنا وفلسفتنا ونظرتنا الى الكون وأشياء كثيرة يصعب حصرها وتعدادها ، فما الذي يضطرنا لكي نكون قوميين سليمي الانتماء ان نطرح كل هذا من حياتنا ونضعه على الهامش ؟ فاذا نحن ذهبنا بكل بساطة وصراحة الى واقعنا

الحي ، ما هو واقعنا ؟ هو العلاقة العضوية بين العروبة والاسلام »[٢٤]. ويوضح الاستاذ ميشيل عفلق المسألة أكثر عندما يشير الى ان البعث وضع الأمور في نصابها عندما نظر الى الاسلام كثورة اخلاقية وفكرية واجتماعية حاسمة في تاريخ البشر ، على انه يدخل في صلب القومية العربية ، ويقول بهذا المعنى : لا يوجد عربي غير مسلم ، هذا اذا كان العربي صادق العروبة ، واذا كان متجرداً من الاهواء ومتجرداً من المصالح الذاتية . العروبة تعني الاسلام بهذا المعنى الرفيع الذي لا تعصب فيه ولا تمييز ولا أي شيء سلبي[٢٥]، وهو في هذا المجال يبني نظرته الى القومية العربية .. عندما يرى ان نشأة الأمة العربية سبقت ظهور الاسلام ، الا ان ثمة علاقة خاصة بين الاسلام والقومية العربية .. وهذه العلاقة تعد من أهم مميزات تطور القومية العربية عن تطور القوميات الاخرى ، بل أكثر من هذا فان الاستاذ عفلق يرى ان القومية العربية بمثابة تجديد لحركة الاسلام في العصر ، وفي هذا يؤكد بأن على القوميين العرب أن يكونوا المدافعين الوحيدين عن الاسلام اذا ارادوا أن يبقى لأمتهم سبب وجيه للحياة[٢٦].

كيف توصل الاستاذ ميشيل عفلق الى هذه الحقيقة ؟ وللاجابة على هذا التساؤل ، لا بد ان ننظر الى المسألة بمنظارها الذاتي والموضوعي ، فالاستاذ عفلق الذي ولد في اسرة عربية مسيحية تنتمي الى الكنيسة الارثوذكسية التي يعدها العرب كنيسة وطنية لا كنيسة مسكونية .. اقترب كثيراً من فهم الاسلام ، أو بعبارة اخرى ، هو : اكتشف الاسلام على انه ليس (ديانة) فحسب وانما هو (ثورة) على الواقع العربي[٢٧] ، والاكتشاف هنا يعني القراءة الجديدة التي توصل المرء الى وضع يده على قضايا أساسية . يقول الرفيق الاستاذ ميشيل عفلق : « انني شخصياً في بداية تكون الحزب ، اكتشفت الاسلام ، أقول اكتشفت ولا أعني انني لم أكن اعرف الاسلام ، فقد كانت هناك ألفة منذ الصغر ، اكتشفت الاسلام كثورة ، كتجربة ثورية هائلة وقرأته قراءة جديدة من هذا المنظار في انه عقيدة ونضال في سبيلها وقضية هي قضية أمة وقضية انسانية ، بل انه قضية أمة بتصور انساني واسع ، ونضال على أروع ما يكون بأعلى مراحله وبما فيه من تنظيم دقيق وتثقيف الا انه أيضاً دين ، فهو تجربة ثورية ، السماء فيها متداخلة بالأرض »[٢٨].. واكتشاف الاسلام الذي قاده الى أن يصبح مسلماً منذ وقت مبكر من حياته ، ساعده على أن يختط للبعث طريقاً خاصاً متميزاً عن التيارات الفكرية والسياسية التي كانت تزخر بها الساحة العربية في الاربعينات والخمسينات . وحينما سئل عن الأسباب التي جعلته يختط طريقاً خاصاً به قال : وهذا أمر لم نتحدث فيه لأننا لا نريد الدعاية ، ولكن بعد أكثر من ثلاثين سنة من نشوء الحزب علينا أن نذكر ذلك ونقول : ان الفضل في ذلك يرجع الى اكتشافنا الاسلام ان المسلم لا يكتشف الاسلام وكذلك البعيد عن الاسلام ، الذي يكتشف الاسلام ينبغي



أن يجمع بين الاستعداد النفسي وبين الجدة . أي ذلك الذي لم تضعف العادة والألفة حساسية عينيه واذنيه ، فالمسلم الذي نشأ في بيت مسلم منذ طفولته واعتاد دوماً سماع الكلام عن الاسلام يتكون عنده نوع من الضعف في رهافة الحس والذهن ، فلا يرى الجديد في هذا الكلام ولا يدري المعنى العميق والهزة الروحية ، كما يحصل حين يهزك الكلام الذي تسمعه لأول مرة[٢٩].

لقد درس الرفيق القائد المؤسس الاستاذ ميشيل عفلق مسألة العروبة والاسلام في ضوء تجربة الأمة العربية واستمراريتها وهذه الدراسة أوصلته الى حقيقة أساسية هي ان علاقة الاسلام بالعروبة ليست كعلاقة أي دين بأية قومية ، واذا كان الدين في اوربا قد دخل اليها من الخارج ، وهو لذلك لم يعبّر عن واقع الاوربيين وحاجاتهم ولم ينزل بلغاتهم الخاصة ، فان الاسلام ظهر في أرض العرب وهو حادث خطير في حياتهم القومية وهو (اجلى مفصح عن شعور العرب الكوني ونظرتهم الى الحياة وأقوى تعبير عن وحدة شخصيتهم .. وهو فوق ذلك أروع صورة للغتهم وآدابهم وأضخم قطعة من تاريخهم القومي)[٣٠].

لذلك فهو يدعو المسيحيين العرب الى وعي هذه الحقيقة والى وضع هذا الوعي في خدمة النضال من أجل بعث الأمة العربية بعثاً قومياً وروحياً متكاملًا والى شيء من هذا القبيل يشير الاستاذ عفلق فيقول « وسوف يعرف المسيحيون العرب ، عندما تستيقظ فيهم قوميتهم يقظتها التامة ويسترجعون طبعهم الأصيل ان الاسلام هو لهم ثقافة قومية يجب أن يتشبعوا بها حتى يفهموها ويحبوها فيحرصوا على الاسلام حرصهم على أثمن شيء في عروبتهم »[٣١].

واذا كان المفكر العربي القومي الاستاذ ساطع الحصري (١٨٨٠ / ١٩٦٨) قد عدّ ما يلي : (اللغة) و (التاريخ) ركيزتين أساسيتين في تكوين الأمة العربية ونظر الى (الاسلام) على انه عامل مساعد ، فان القائد المؤسس ميشيل عفلق انطلق من نظرته الى عوامل تكوين الأمة من منهج جديد ، فاللغة والتاريخ والدين وغيرها من العوامل والعناصر لا يمكن أن تؤخذ بشكل مفكك ومجرد عن البنية الحية المتطورة لتجربة الأمة عبر العصور المختلفة ، أي عن عوامل استمرار وديمومة الوجود العربي والشخصية الحضارية للأمة العربية[٣٢]. لكن هذا لم يمنع الاستاذ عفلق من أن يجعل (الاسلام) مصدراً اساسياً في تكوين الأمة ، فالنهضة العربية اقترنت بالاسلام والاسلام لا يمكن أن يتمثل الا في الأمة العربية .. فهو في حقيقته الصافية نشأ في قلب العروبة .. وأفصح عن عبقريتها أحسن افصاح وساير تاريخها ، وامتزج بها فلا يمكن أن يكون ثمة اصطدام بينهما ، لذلك فان الاستاذ ميشيل عفلق يعرب عن عدم خوفه من أن تصطدم القومية بالدين فهي شعلة تنبع من معين القلب وتصدر عن ارادة الله ،



وهما يسيران متآزرين متعانقين ، لأن العلاقة بينهما هي علاقة وجود وخلود ، أمة ورسالة ، ثورة وحضارة ، وتتوضح العلاقة الترابطية الجدلية حينما اعطى البعث للدين دوره المشروع في حياة البشر وأعطى الاسلام المكانة الأساسية[٣٣].

ان الاسلام كما يراه الاستاذ ميشيل عفلق ، حركة عربية معناها تجدد العروبة وتكاملها ، فاللغة التي نزل بها ، لغة عربية ، وفهمه للأشياء كان بمنظار العقل العربي ، والفضائل التي عززها كانت فضائل عربية ، والعيوب التي حاربها كانت عيوباً عربية سائرة في طريق الزوال ، والمسلم في ذلك الحين لم يكن سوى العربي ، ولكنه العربي الجديد المتطور المتكامل .. وكان المسلم هو العربي الذي آمن بالدين الجديد لأنه استجمع الشروط والفضائل اللازمة ليفهم ان هذا الدين يمثل وثبة العروبة الى الوحدة والقوة والرقي .. ولكن هل يعني هذا ان الاسلام وجد ليكون مقصوراً على العرب ؟ ... (انه في واقعه وفي مراميه المثالية انساني)[٣٤].. وهكذا فالاسلام ولد في ارض العروبة وضمن تاريخها وأهلها .. ولكنه أصبح هو أباها . ان الأمة ابتداءً من الاسلام ولدت ولادة جديدة وأصبحت أمة عظيمة تاريخية لها دور أساسي في تاريخ الانسانية وفي صنع مستقبل الانسانية .. الاسلام أعطى للأمة العربية هذه الأبعاد ، أعطاها مسؤولية الدور الانساني العظيم .. وأعطى العرب هذا الخلود .. طعم الحياة الحقيقية التي هي جهاد قبل كل شيء وفكرة ومبدأ وعقيدة ، ولا خوف على العروبة ما دامت مقترنة بالاسلام لأنه كفيل بأن يجددها ويوقظ فيها هذه النزعة الى السماء .. الى الخلود .. والى الأفق الكوني .. الى حمل الرسالة .. وعندما تتهاوى الأمراض العالقة والمشاكل المادية ، والأمور التي لا تليق بأمتنا ولا تعبّر عن حقيقتها وحقيقة رسالتها[٣٥].

لقد وجد البعث في معين الاسلام الذي لا ينضب أول ما وجد عروبة الاسلام ، العروبة كهوية وطبيعة وأرض ولغة وتاريخ ، والعروبة كشعب ومجتمع في حالة مخاض وتحفز[٣٦] . والعروبة باستيعابها لروح الاسلام قد وضعت نفسها في مواجهة النظرة الشعوبية المتلبسة بالدين والمعادية للعرب . وهكذا كان البعث أول حركة عربية أوضحت الصلة بين العروبة والاسلام ووضعتها في صيغتها النهائية فحلت بذلك أزمة مزمنة وأنقذت الفكر القومي المعاصر من مفهومين منحرفين : مفهوم القومية المجردة الذي يفرض عليها الاصطناع والفقر ، ومفهوم القومية الدينية الذي يقضي عليها بالتناقض والتلاشي[٣٧].

لقد كشف الرفيق القائد المؤسس من خلال اسهامه الفكري البارز في توضيح الصلة الترابطية بين العروبة والاسلام .. المحاولات التخريبية للشعوبيين والمستعمرين والرجعيين والمتسترين بالدين الذين يرومون استخدام ما يسمونه (الاسلام



السياسي) لمعاداة العرب والعروبة . وحينما أكد الاستاذ عفلق على صلة العروبة الحية بالاسلام فانه أثبت بالدليل العلمي الملموس ان هذه الصلة لا يمكن أن تنفصم .. لانها (صلة تاريخ ، وهي مستمرة منذ القديم حية لا تموت) وهي أيضاً صلة تجديد ، أي اننا ، كما يقول الاستاذ ميشيل عفلق « لنا فهم ثوري للاسلام ، اننا نستمد من فهمنا الثوري لحركة الاسلام قوة ثورية لتجديد عقليتنا ولتجديد أوضاعنا الفكرية والاجتماعية والقومية »[٣٨].

وعلى هذا الأساس فان الاستاذ ميشيل عفلق يدرك بأن الذين لا يفهمون الاسلام ومبادءه الصحيحة القائمة على الوعي .. هم الذين لا يريدون للأمة العربية أن تنهض وتتوحد . وفي ضوء هذا المنظور الشامل للحياة العربية ولحاجات النهضة المعاصرة تاخذ تجربة الاسلام معنى « الاستعداد الدائم في الأمة العربية للتجدد وحمل الرسالة الانسانية »[٣٩].

ومن هذا المنطلق فان الاستاذ ميشيل عفلق يؤكد « بأن الأمة التي ظهرت فيها رسالة بحجم رسالة الاسلام ترفض الخضوع وترفض التبعية الفكرية والحضارية . ان لها طريقها الخاص واشتراكيتها هي اشتراكية عربية .. الأمة التي حملت الى العالم رسالة الاسلام لا يمكن أن تكون قوميتها سلبية تعصبية عدوانية ، فقوميتها هي في أساسها اخلاقية انسانية تحمل مبادىء العدل والمساواة »[٤٠].

ولما كانت الأمة العربية حاملة رسالة الاسلام فكثيراً ما تعرضت عبر التاريخ للعديد من التحديات التي فاقت في قوتها وشدتها وشراستها أية تحديات واجهتها أية قومية اخرى من قبل الاستعمار والصهيونية والشعوبية وكل قوى الشر والتسلط والعدوان والاستغلال في العالم . وفي هذا المجال يقول الاستاذ ميشيل عفلق « ان سبب العداء للعروبة يرجع الى قدرتها على جمع وتوحيد الشعوب الاسلامية وشعوب العالم الثالث ضمن منظور حضاري تقدمي يحفظ لكل شعب شخصيته القومية وسيادته ، ويقيم التعاون على أساس الحرية لا القسر وباتجاه التقدم والمستقبل لا بعقلية التخلف والفوضى » .. ويضيف الاستاذ عفلق الى ذلك قوله « أليس الحقد على العروبة يرجع الى الحروب الصليبية والى ما قبلها .. ولم نشاهد ان الغرب لاحق بعدائه شعباً بمثل الاصرار الذي لاحق به الأمة العربية ؟ أليس بدافع هذا الحقد ومن أجل منع الوحدة العربية وتعطيل النهضة العربية ، اصطنع الغرب الكيان الصهيوني الذي اغتصب فلسطين وأصبح قاعدة كبرى للتوسع والعدوان ؟ »[٤١].

لقد اتضحت طبيعة الحقد والعداء على العروبة .. بشكل سافر في العدوان الفارسي العنصري على العراق ولم يكن هذا العدوان الا حلقة جديدة من حلقات تلك السلسلة من المواقف المعادية للأمة العربية وقوميتها ووحدتها ونهضتها المعاصرة وهو عداء تركز على البعث ، لأن فكر البعث ونضاله قد عبّرا عن روح النهضة العربية[٤٢].



وبعد قرن ونصف من بدء النهضة العربية الحديثة ، وبعد أربعين سنة من نضال حزب البعث العربي الاشتراكي تأتي مجموعة حاكمة في ايران تتستر بستار الاسلام وتتهم القومية العربية بشتى التهم . وهي لا تقف عند حدود اتهام القومية العربية وانما لتعمل على تفتيتها والقضاء عليها ، وانها يجب أن تزول أمام التوسع الفارسي العنصري . وهنا يتصدى الاستاذ ميشيل عفلق لهذه الدعوات .. ويفضح أبعادها ومخاطرها فيقول : « ان امام التحالف الذي يجمع الغرب المسيحي واليهودية الصهيونية والشيوعية الالحادية والعنصرية الفارسية المتسترة بالاسلام تنكشف الهوية الحقيقية العميقة للمعركة التي يخوضها عراق البعث والتي نقلت النهضة العربية من مواقع الدفاع الى مواقع الهجوم ، فهي بالرغم من صعوبتها وما بها من تعقيد ، تبدو بالنسبة للأجيال العربية الثورية واضحة كل الوضوح ، انها معركة المستقبل العربي »[٤٣].

وفي مكان آخر يقول الاستاذ عفلق : « نحن في هذه الحرب .. نعمل للوحدة .. نعمل للمستقبل العربي الجديد .. نعمل لتوحيد العرب ونعمل للوحدة الاسلامية الصحيحة »[٤٤]. ومن هنا فالاستاذ ميشيل عفلق يرى ان دفاع العراق هو دفاع مشروع عن الذات والأمة واتجاه النهضة العربية .. وانتصار العراق لم يكن بغير الاسلام . ويتساءل هنا قائلًا : ألم يحارب العراق منذ اليوم الأول وحتى تحقيقه النصر (بروح الاسلام ومبادئه وقيمه السامية وذكريات قادته وابطاله الخالدين ؟) . أليست روح الاسلام وقيمه وأخلاقه هي روح العروبة وقيمها وأخلاقها[٤٥].

لقد قدر لحزب البعث العربي الاشتراكي ان يمثل طوراً جديداً من تكامل مفهوم العروبة الحديثة .. فكان رجوعه الى الاسلام في مواجهة الطغيان الغربي الحضاري والتعصب العنصري والديني رجوعاً طبيعياً وعفوياً ، وتلك كانت بداية الطريق التي أعطت الحزب أصالته الراسخة وزودته بالقدرة الخلّاقة[٤٦].

لقد حدد الاستاذ ميشيل عفلق العلاقة بين العروبة والاسلام من خلال تأكيده على انها ليست علاقة تضاد ، وفي الوقت نفسه (ليست علاقة دمج) مصطنعة شأن الفصل بينهما . والعلاقة هي علاقة استقلال من جهة وتكامل من جهة اخرى ، فالعروبة والاسلام مستقلان من حيث انهما (قومية) و (دين) لكنهما متكاملان باعتبارهما ثورة شاملة على الواقع تتجاوز كلًا من الاطار الديني الخالص والاطار القومي الخالص الى الأفق الحضاري الانساني الجامع لهما .. وحالة الثورة على الواقع ومن أجل غد أفضل هي التي تجعل العلاقة بين العروبة والاسلام علاقة تكامل بالرغم من استقلالهما[٤٧].

« ولئن وجدت شعوب تنشد الحرية بالانعتاق من الدين فالأمة العربية ، كما



يقول الاستاذ ميشيل عفلق ، تجد حريتها في الفهم المتجدد للاسلام والمعاناة الحية المتعمقة لكي تظل على صلة بجذوره وينابيعه ، وهي جذور وينابيع عربية ، ولكي تبقى جديرة بحمل هذا الارث القومي الذي جعل منها امة عظمية ذات ابعاد انسانية »[٤٨].

وهكذا تم شق طريق النهضة العربية المستلهمة للتراث والمنفتحة على العصر ، طريق العروبة الحديثة التي تميزت بشكل حاسم عن الصورة المتخلفة للثورة وللدين وللنظرة الى الانسان والانسانية من جهة ، وللمفاهيم المزيفة والسطحية المغطاة برداء التقدمية من جهة اخرى[٤٩].

ويعجب الاستاذ عفلق من المسلم الذي لا يحب العربي ، ولكن عجبه يكون أشد للعربي الذي لا يحب الاسلام .. وفي هذا يقول « ان علاقة الأمة العربية بالاسلام علاقة خاصة حيوية ومصيرية لها وللاسلام ، فلا يمكن أن يفهم الاسلام شعب مثلما يفهمه الشعب العربي .. ولا يمكن أن يشعر أحد نحو الاسلام بمثل الرابطة والمسؤولية اللتين يشعر بهما العرب نحوه ... وهكذا بدأ طريق المستقبل العربي يزداد وضوحاً ، فهو لا يبنى الا من خلال الثورة باتجاه التقدم ولكن باستلهام الأصالة التي تجسدها ثورة الاسلام بواقعها العربي وجوهرها الانساني وأبعادها الحضارية[٥٠].

٤ - خاتمـــة :

واخيراً .. يمكن القول وبكثير من الاطمئنان ان الفكر العربي المعاصر وخاصة بصيغته البعثية استطاع أن يضع يده على حقيقة أساسية وهي : ان النظرة الى مسألة الترابط الحي بين العروبة والاسلام هي جزء من منظور الانبعاث الحضاري الجديد المعاصر للأمة العربية .. وعند ذلك فقط يمكن عدّ الاسلام ، كما يقول الدكتور حامد ربيع ، قوة للعروبة[٥١] . وان أية محاولة لاستخدام الاسلام ضد العروبة سوف تبوء بالفشل الذريع .. وما حدث للتيار الشعوبي الخميني في ايران بعد فشل مخططاته العدوانية على العراق والأمة العربية ، يقيم الدليل الواقعي الملموس على ان ورقة استخدام الاسلام واصطناع التصادم بينه وبين العروبة لا تصلح لأن تكون مدخلًا لخلق حالة التفتت في المجتمع العربي المعاصر .



الهوامــــش :

(١) عقد هذا المؤتمر في جامعة تل ابيب سنة ١٩٧٩ ، وكان موضوعه (الدين والحكومة في العالم الاسلامي) ، انظر : حامد ربيع (كيف استخدمت الصهيونية ورقة (الاسلام السياسي) لتخريب المجتمع العربي ؟ مجلة كل العرب العدد ٣٧٠ في ٢٥ ايلول ، ١٩٨٩ ، ص ٢٥ .

(٢) يمكننا هنا أن ننظر بتقدير بالغ الى اسهامات الدكتور الياس فرح في اثراء هذا الموضوع في كتابات عديدة . انظر على سبيل المثال مقالته (القومية العربية والاسلام في تفكير الرواد والاساتذة ساطع الحصري ، زكي الارسوزي ، ميشيل عفلق) في مجلة المنار - باريس ، السنة (٢) ، العدد (١٩) ، تموز ، ١٩٨٦ ، ص ٥٢ وما بعدها .

(٣) الياس فرح (حول العروبة والاسلام) مجلة اليقظة العربية ، القاهرة ، السنة (١) ، العدد (٧) ، سبتمبر (ايلول) ، ١٩٨٥ ، ص ١٧ .

(٤) عبدالعاطي محمد أحمد (السمات القومية للاتجاه الاسلامي التجديدي) مجلة المستقبل العربي ، بيروت ، السنة (٥) ، العدد (١) ، ١٩٧٩ ، ص ٣٣ . ومن الكتابات التي حاولت تشويه أعمال المفكرين العرب وابرازها على انها ليست اعمالاً أصيلة كتاب (سيليفيا حاييم) (القومية العربية) المطبوع في جامعة كاليفورنيا سنة ١٩٦٢ (بالانكليزية) .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٤ .

(٦) انظر : محمد عمارة ، الاعمال الكاملة لعبدالرحمن الكواكبي (القاهرة ، ١٩٧٠) ص ص ٣٥ ، ٥٠ .

(٧) انظر عبدالرحمن الكواكبي ، ٣١ أم القرى ، اعداد الدكتور عبدالرحمن الكواكبي (حلب ، ١٩٥٩) ص ٢٩ .

(٨) عمارة ، الاعمال الكاملة ، ص ٤٨ .

(٩) عبدالرحمن برنج ، عبدالرحمن الكواكبي ، سلسلة اعلام العرب (القاهرة ، ١٩٧٢) ص ٤٨ .

(١٠) عبدالرحمن الكواكبي ، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ، القاهرة (٩٣١) ص ٨٤ .

(١١) عمارة ، الاعمال الكاملة ، ص ٤٨ .

(١٢) للتفاصيل انظر : ابراهيم خليل أحمد ، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٤١٦ - ١٩٠٦ ، الموصل ، ١٩٨٣ ، ص ص ٣٧٩ - ٣٨٨ .

(١٣) المصدر نفسه ، ص ص ٣٩١ - ٣٩٥ .

(١٤) للتفاصيل انظر : نجيب عازوري ، يقظة الامة العربية ، ترجمة أحمد أبو ملحم (بيروت ، ١٩٧٨) .

(١٥) ساطع الحصري ، آراء وأحاديث في القومية العربية ، (بيروت ، ١٩٤٤ ، ص ٣٥١) .

(١٦) المصدر نفسه ، ص ٣٥٦ .

(١٧) ساطع الحصري ، العروبة أولاً (بيروت ، ١٩٧٨) ص ١٧٧ .

(١٨) الياس فرح ، المصدر السابق ، ص ص ١٧ - ١٨ .

(١٩) المصدر نفسه ، ص ١٨ .

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ٢٠ .



(٢١) للتفاصيل انظر : محمد أحمد خلف الله ، مصادر الفكر عند ميشيل عفلق ، بحث مقدم الى ندوة تطوير الفكر القومي العربي : تقويم لفكر ميشيل عفلق عقدت في القاهرة بين ١٧ و ١٨ آذار ١٩٩٠ .

(٢٢) انظر : فرح ، القومية العربية والاسلام في تفكير الرواد الاساتذة ساطع الحصري ، زكي الارسوزي ، ميشيل عفلق ، ص ٥٩ .

(٢٣) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، الكتابات السياسية الكاملة ، جـ ١ ، (بغداد ، ١٩٨٦) ، ص ١٣٨ (مقال في القومية العربية ، ١٩٤١) .

(٢٤) ميشيل عفلق (اصالة الامة قوة نضالية متجددة) محاضرة القيت في مدرسة الاعداد الحزبي ببغداد في ١٩ كانون الثاني ١٩٧٦ ، انظر ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، الكتابات السياسية الكاملة جـ ٣ (بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ٣٣) .

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ص ٣٣ - ٣٤ .

(٢٦) للتفاصيل انظر : محمد صفي الدين خربوش (اسهام ميشيل عفلق في تطور الفكر القومي العربي) بحث مقدم الى ندوة القاهرة آنفة الذكر .

(٢٧) انظر : مجيد خدوري ، عرب معاصرون ، أدوار القادة في السياسة (بيروت ، ١٩٧٤ ، ص ٣٧٤) .

(٢٨) ميشيل عفلق (التراث يعطي الامة شعوراً بوحدتها وطموحاً الى تجديد رسالتها) حديث منشور في مجلة آفاق عربية ، الاول من نيسان ١٩٧٦ . انظر : الكتابات السياسية الكاملة ، جـ ٣ ، ص ٦١ .

(٢٩) المصدر نفسه .

(٣٠) انظر : ميشيل عفلق ، في ذكرى الرسول العربي ، محاضرة القيت في ٥ نيسان ١٩٤٣ في الكتابات السياسية الكاملة ، جـ ١ ، ص ١٤٨ .

(٣١) المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٤٢ .

(٣٢) انظر : فرح ، القومية العربية والاسلام ، ص ٥٩ .

(٣٣) انظر : عبدالله حنا ، الاتجاهات الفكرية في سوريا ولبنان ، ١٩٢٠ - ١٩٤٥ (دمشق ، ١٩٧٣ ، ص ٥٧) .

(٣٤) انظر : ميشيل عفلق ، ذكرى الرسول العربي في الكتابات السياسية الكاملة ، جـ ١ ، ص ١٤٥ .

(٣٥) حديث الاستاذ ميشيل عفلق لدى تقلده وسام المؤرخ العربي في الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب / بغداد ، ١٩٨٨ .

(٣٦) الكتابات السياسية الكاملة ، جـ ٣ ، ص ٢٢٤ .

(٣٧) خربوش ، المصدر السابق .

(٣٨) ميشيل عفلق (بناء المناضل) حديث القي في مدرسة الاعداد الحزبي بتاريخ ١١ آيار ١٩٧٧ في : الكتابات السياسية الكاملة ، جـ ٣ ، ص ٨٤ .

(٣٩) فرح ، القومية العربية والاسلام ، ص ٦٠ .

(٤٠) ميشيل عفلق (التراث عزز صمود الامة وأعطى للثورة العربية مستواها العالمي) كلمة في السابع من نيسان ١٩٧٦ ، انظر : الكتابات السياسية الكاملة ، جـ ٣ ، ص ١١٦ .

(٤١) ميشيل عفلق (معركة المستقبل العربي) كلمة في السابع من نيسان ، ١٩٨١ ، انظر : الكتابات السياسية الكاملة ، جـ ٣ ، ص ١٨٠ .

(٤٢) المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٨٠ .

(٤٣) المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ١٨٢ .

(٤٤) حديث للاستاذ ميشيل عفلق لدى تقلده وسام المؤرخ العربي .

(٤٥) ميشيل عفلق (ولادة مرحلة جديدة للامة) كلمة في السابع من نيسان ١٩٨٢ في الكتابات السياسية الكاملة ، جـ ٣ ، ص ١٩٦ .

(٤٦) ميشيل عفلق (تثبيت الخيارات الاساسية في النهضة العربية) ، كلمة في السابع من نيسان ١٩٨٤ في الكتابات السياسية الكاملة ، جـ ٣ ، ص ص ٢٢ - ٢٢٣ .

(٤٧) الياس فرح ، حول العروبة والاسلام ، ص ص ٢٢ - ٢٣ .

(٤٨) ميشيل عفلق (تثبيت الخيارات الأساسية في النهضة العربية) في الكتابات السياسية الكاملة ، جـ ٣ ، ص ٢٢٣ .

(٤٩) المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ٢٢٣ .

(٥٠) ميشيل عفلق (من أجل عمل عربي مستقبلي) كلمة في السابع من نيسان ١٩٨٦ في الكتابات السياسية الكاملة ، جـ ٣ ، ص ص ٢٦٩ - ٢٧١ .

(٥١) ربيع - المصدر السابق ، ص ٥٣ .

محاضرات مختارة من الندوة القومية
حول فكر الأستاذ ميشيل عفلق
بغداد 26/23 حزيران 1990



دراسات في فكر الأستاذ ميشيل عفلق